

روايات عالمية للجيب 61

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

^ RAYAHEEN ^

# محامي الشوارع



تأليف : جون جريشام

ترجمة واعداد : د. أحمد خالد توفيق

APPROVED

# RAYAHEEN^



61

## محامي الشوارع

في حياة كل منا لحظة يعينها ينقلب فيها كل شيء ، وتدرك أن ما كنت تقاتل من أجله لا قيمة له .. وكانت هذه اللحظة في انتظار ( مايكل بروك ) عندما تعرض للاحتجاز هو وثمانية من رفاقه في شركة حمامة كبرى .. قبلها كان محاميا شاباً طموحاً ، وبعدها صار محامى شوارع مشغولاً بالذين لا بيت لهم .. قبلها كان رؤسأوه يفخرون به ويعتبرونه حصانهم الرابع ، وبعدها صاروا ألد أعدائه ..

العدد القادم

قاعدة المرايا ( روجر زيلاني )

## المؤلف



لتقينا (جون جريشام Grisham) مرتين من قبل هنا .. مرة مع تحفته (صانع الأمطر) ومرة مع (العيل) ، وتعد لقصتان من أكثر ما نشر في هذه السلسلة فوزاً بإعجاب القارئ واستحسنة .. نذكر القارئ أن (جريشام) أديب أمريكي مل للتخصص في عالم المحاماة

والقضايا ، وهو بهذا يحذو حذو أديب شهير آخر هو (إيرل ستاتلي جاردنر) صاحب (بيري ماسون) ..

ولد جريشام في أركنساس عام ١٩٥٥ لأب مزارع قطن ، وقد استقرت أسرته جوار تميسيبي عام ١٩٦٧ .. في هذا الوقت تقريباً بدأ الشاب يقرأ بنهم ، خاصة أعمال أديب أمريكا العظيم (شتاينبيك Steinbeck) ، وإن لم يطمح للأدب قط ، فقد كان يعتقد أنه خلق ليكون لاعب

ببزهول عظيماً .. ذلك الطموح الذى تخلى عنه فى مباراة عنيفة جعلته يدرك قدراته بالضبط . درس المحاسبة وتخرج عام ١٩٧٧ . التحق بمدرسة القانون عام ١٩٨١ حيث عمل بالمحاماة لفترة .

اضطر ذات مرة لسماع طفلة صغيرة تحكى فى المحكمة قصة اعتداء تعرضت له .. هنا خطر له أن يتخيل الوضع القانونى لو أن الفتاة كانت زنجية ، ولو أن الاعتداء تم على يد مجموعة من البلطجية البيض المتعصبين نوى الأعناق الحمر Red necks .. هنا يلعب التعصب العرقى دوراً لا بأس به ؛ لأن فرصة نجاة المجرم الأبيض عالية إذا كان المحظون بيضاء ، وهذا ما يدفع أبا الطفلة لتنفيذ العدالة بيده .. هكذا ولدت قصة ( وقت للقتل ) عام ١٩٨٧ ، والتي لم تلق اهتماماً يذكر ، فلم يبيع منها إلا ألف نسخة ..

لكنه بعدما قدمها للنشر الوحيد الذى قبلها ، بدأ قصة ثانياً اسمها ( الشركة ) . وقد قلزت هذه القصة المثيرة إلى الصف الأول فى أعلى المبيعات ، وعام ١٩٩١ اشترتها منه إحدى شركات الإنتاج السينمائى بستمئة ألف دولار .

( الشركة ) تحكى عن محام شاب يتعلم الدرس بالطريقة الصعبة ؛ لا أحد يقدم شيئاً مجاناً ، وكل هذه المزايا التى تمنحها إياه شركة المحاماة الكبرى تضعه فى ورطة مخيفة بين الـ FBI والماليا الغاضبة .. برغم أن الفيلم الذى قدمه ( توم كروز ) نجح جداً فإن الرواية سبقته فى هذا النجاح ، وبالتالى راجت رواية ( وقت للقتل ) ورآها النقاد للمرة الأولى ..

بدأ جريشام يقدم عملاً واحداً تقريباً كل عام ، وتبدت فى أعماله ثقافته القانونية مع فهمه للجنوب الأمريكى وعالم المسيسيبي الذى قدم لنا من قبل أدينا عظيماً هو ( مارك توين ) ..

قدم بعد هذا ( العميل ) و ( الغرفة ) و ( المحلف الهارب ) و ( صانع الأمطار ) و ( الشريك ) و ( محامى الشوارع ) و ( ملف البجعة ) و ( الشهادة ) و ( مقاعد الشمس ) .. القصة الأخيرة تنتمى لعالم الببزهول الذى لم ينسه قط . ويذكر القارئ أننا قدمنا فى هذه السلسلة قصتى ( صانع الأمطار ) و ( العميل ) .

هناك تيمة محببة لـ ( جريشام ) هي البطل الفرد الوحيد الضعيف الذي يواجه كياننا ضخماً مرعباً .. المافيا أو شركات المحاماة العملاقة أو شركات التأمين أو الاستخبارات المركزية .. حجم رواياته ضخم مما يروق للقارئ الأمريكي الذي لا ينظر بجدية لرواية صغيرة الحجم ..

نال جريشام لقب ( أفضل الكتاب مبيعاً في التسعينيات ) ، وكل عنوان جديد له هو فيلم جاهز للتصوير ، ويعتبر حالياً أكثر الكتاب شعبية لدى قارئ الإنجليزية بعد ( ستيفن كنج ) ..

يعيش جريشام في أكثر من بيت جوار المسييسبي وفي أكسفورد وفرجينيا ، ولديه ابنان .. امتزج أبه بأنه يتحدث عن الجنس والعنف والبذاءات ، وهو لم يخف للحظة صدمته من كل هذه الأشياء التي يقدها كتاب السيناريو على قصصه ..

د . أحمد خالد

## واحد

دخل الرجل نو الحذاء المطاطي طويل العنق المصعد خلفي ، لكنى لم أره في البداية .. برغم هذا شممت رائحة التبغ والخمر الرخيصة والحياة في الشارع بلا صلبون . كنا وحيدين بينما للمصعد يصعد لأعلى ، وإذا نظرت لأسفل رأيت الحذاءين .. أسودين كبيرين متسخين .. معطف مطر يتكلى حتى ركبتيه ، وتحته طبقات من ثياب متسخة جعلته يبدو أقرب للبدانة . لكنها ليست بدانة فرط التغذية ، ففي شتاء واشنطن يلبس الناس الذين لا بيت لهم كل ما يملكون .

كان أسود متقدماً في العمر ، وقد شاب نصف شعره ولحيته فهو لم يقصهما أو يغسلهما منذ أعوام . كان يتجاهلني وهو ينظر أمامه عبر نظارة شمس سمكية حتى تساءلت عن سبب اهتمامي به .

لم يكن يلتمى هنا . ليست هذه بنايته ولا مصعده .. كل المحامين في الطوابق الثماتية في شركتي هذه يعملون

بالساعة ويتقاضون أجوراً مازلت أراها فاتحة بعد سبعة أعوام . مجرد متسكع جاء من البرد .. هذا يحدث طيلة الوقت فى وسط واشنطن ..

فى الطابق السادس توقفنا ، وللمرة الأولى لاحظت أنه لم يطلب رقم أى طابق .. لقد كان يقتفى أثرى .. خرجت مسرعاً فما إن مشيت عبر البهو الرخامى الفاخر لشركة (دريك وسوينى) حتى اختلست نظرة للخلف لأراه مازال فى المصعد لا ينظر لى .

حينئذى مدام (ديفييه) موظفة الاستقبال بطريقتها الموحية بالازدراء ، فقلت لها :

- « راقبى المصعد .. »

- « لعله ؟ »

- « متسكع .. ربما يجب أن تطلبى الأمن وربما بعض المطهرات .. »

وابتعدت واضعاً معطفى على كتفى ، ونسيت الرجل ذا الحذاء المظاظى .. لدى مقابلات لا تنتهى طيلة العصر ،

وكنت على وشك أن أقول شيئاً لـ (بولى) سكرتيرتى عندما سمعت الطلقة الأولى .

كنت مدام (ديفييه) تقف خلف مكتبها متصلبة تحديق فى ماسورة طويلة لمسند يحمله صديقنا متسكع للشارع . كنت أول من دنا منها لذا صوب المسند بلياقة نحوى فتصلبت بدورى .

كنت قد رأيت ما يكفى من أفلام لأعرف ما يجب عمله ؛ لذا قلت وأنا أرفع يدي :

- « لا تطلق النار .. »

غمغم فى هدوء :

- « لخرس .. »

فجأة صرخ أحدهم من خلفى :

- « إن معه مسدساً ! »

ثم تلاثت الأصوات فى الخلفية .. وإذ جرى رفاقى للأبواب الخلفية كاد بعضهم يشب من النوافذ . عن

يساري يوجد باب خشبي عملاق يقود لقاعة اجتماعات فيها الآن ثمانية محامين من قسم التقاضي .. ثمانية محامين لا يخافون شيئاً .. كان أكثرهم صلابة طوربيذا عدوانياً اسمه ( رافتر ) ، ما إن فتح الباب صلحاً :

- « ماذا بحق الجحيم ؟ »

حتى توجهت ماسورة المسدس نحوه .. صاح ( رافتر ) :

- « دع هذا المسدس .. »

خلال جزء من الثانية انطلقت طلقة أخرى تخترق السقف فوق رأس ( رافتر ) فجعلته يدرك أنه فان .. أشار لى الرجل فدخلت قاعة الاجتماعات ، وكانت مدام ( ديفيه ) ترتجف وقد مزقتها الرعب .

أغلق المتسكع الباب خلفي ورفع المسدس في الهواء كي يتمكن كل المحامين من إيداء إعجابهم به .. كانت رائحة البارود أقوى من رائحة حامل المسدس ..

قال الرجل وهو يستعمل مسدسه كحجة إقناع قوية :

- « قفوا أمام الجدار .. »

ثم وضعه جوار رأسي ، وقال :

- « أغلق الأبواب .. »

وكذا فعلت ..

لم تبدر كلمة عن ثمانية المحامين ، ولم تبدر كلمة مني وأنا أفذ الأمر ثم التفت له .. لسبب ما تذكرت جرائم إطلاق الرصاص في مكتب البريد ، عندما يعود موظف في ساعة الغداء ليطلق الرصاص على خمسة عشر من زملائه .. تذكرت المذابح في مطاعم الوجبات السريعة .. كل من ماتوا في هذه الحوادث كانوا أطفالاً أو مواطنين صالحين .. بينما نحن حفنة من المحامين !

بإشارات من مسدسه أوقف المحامين جوار الحائط ثم التفت لى .. ماذا يريد ؟ لم أر عينيه بسبب نظارات الشمس لكنه كان يرى عيني .. نزع معطفه وبغاية وضعه على المنضدة .. ثم نزع الطبقة الثانية .. سترة صوفية خضراء سميكة .. سميكة لسبب واضح هو أن

هناك حول خصره حزمة من عصى حمر .. وأدركت  
عيني غير المدربة أن هذا ديناميت ..

هناك أسلاك تجرى كالمسباجيتى الملونة من وإلى  
أصابع الديناميت ، بينما قام شريط ( شكرتون ) فضى  
بتثبيت كل شيء ..

- « أرجوكم الهدوء .. »

قالها بلهجة الأستاذ الصبور .. وقد جعلنى هدوءه  
أفقد أعصابى .. مد يده فى جيبه فأخرج مطواة وحزمة  
حبال .. ثم نظر للوجوه المذعورة ، وقال :

- « لا أريد أن أؤذى أحداً .. »

كان من الجميل أن تسمع هذا لكن من العسير أن  
تأخذه بجدية .. هنا عاد المسدس لى .

- « أنت .. اريظهم .. »

كان ( رافتر ) قد اكتفى .. تقدم نحو الرجل وقال :

- « اسمع يا صاحبي . ماذا تريد بالضبط ؟ »

انطلقت الرصاصة الثالثة فوق رأسه .. بدت كطلقة  
مدفع وفى مكان ما من البهو صرخت إحداهن ..

قال المتسكع :

- « لا تلتانى بـ ( صاحبي ) .. »

وعنى الفور تم استبعاد لفظة ( صاحبي ) من لقاموس ..  
ومسألته شاعراً بأننى صرت تقريباً زعيم الرهائن :

- « بم أتأديك ؟ »

- « تلتانى بـ ( مستر ) .. »

وناسب الجميع هذا اللقب .. هناك جرس الهاتف  
فرقع لسماعة بيده اليسرى بينما اليمنى تصوب المسدس  
نحو ( رافتر ) . لو أن لنا حق الانتخاب لاخترنا ( رافتر )  
ليكون كبش الفداء الأول ..

قال ( مستر ) \* :

(\*) هذه مغفلة طبعاً .. لقد افترض أن اسم لرجل هو ( مستر ) لأنه  
لا يعرف اسماً آخر .



- « نعم .. »

ثم وضع السماعة وناولنى الحبل وأمرنى بأن أحكم قيدهم . بحيث ترتبط معاصمهم .. فعلت ذلك وأنا أحاول جهدى ألا أنظر لوجوه زملائى الذين أقودهم إلى نهايتهم .. حاولت أن أبقي القيود مرخياً قدر الإمكان ..

كان ( مالامود ) يتنفس بصعوبة ، ويعرق بغزارة ، فقد كان أكبرنا سناً وقد مر عامان منذ نوبته القلبية الأولى .. نظرت لـ ( نوتسو ) صديقى الوحيد الحقيقى فى هذه المجموعة .. كان من نفس سنى 32 عاماً وزوجتانا من ( بروفى دنس ) .. زواجه ناجح بينما زوجى يوشك على الانتهاء .. تلاققت عيناتنا وفكر كل منا فى أطفاله .. كنت سعيد الحظ لأننى لم أنجب ..

نوت السريئة الأولى فطلب منى ( مستر ) أن أسدل الستار على التوافق .. نظرت لساحة الانتظار فرأيت سيارة شرطة خالية فتحت أبوابها ، فلا بد أن شرطيتها فى البناية فعلاً ..

\* \* \*

حسب آخر إحصاء ، لابد أن شركة ( دريك وسوينى ) لديها ٨٠٠ محام حول العالم ، ونصقهم فى واشنطن فى البناية التى يهددها ( مستر ) ..

طلب منى أن أتصل بالريس وأخبره أن الرجل مسلح ويحمل دسنة من أصابع الديناميت . اتصلت بـ ( رونلف ) مدير قسمى ونقلت له الرسالة وأضفت :

- « أرجو أن تنفذ ما يطلبه .. »

- « وما الذى يطلبه ؟ »

- « لا أعرف .. »

هنا لوح ( مستر ) بالمسدس تنتهى المحادثة . ثم راح يعبث بسلك أحمر من الأسلاك المحيطة بكصره :

- « هذا السلك الأحمر .. يكفى أن أجذبه وينتهى كل

شئ .. »

سأنته :

- « لم تفعل ذلك ؟ »

- « لا أريد .. لكن لم لا أقطه ؟ »

دهشت من طريقة أدائه الرتيبة المنهجية .. كل مقطع يحظى بنفس المعاملة .. إنه حالياً متسكع لكن لا بد أنه رأى أياماً أفضل .

كانت الواحدة والثلاث فلنا محام أعيش بالساعة ومرت فترة صمت محطة للأعصاب مدتها أربع عشرة دقيقة .. لم أصدق أننا سنموت . لا يبدو لي أن هناك دافعاً أو سبباً لقتلنا .. أعرف يقيناً أن أحدنا لم يلقه من قبل .. هذه بالضبط هي المنبحة التي سستولى على اهتمام الإعلام في الفترة القادمة ، ثم يبدأ البعض في تأليف نكت المحامي الميت .. كان يوسعي أن أرى عناوين الصحف ، لكنني عجزت عن تصديق أن هذا سيحدث فعلاً .

فجأة سألتني (مستر) :

- « ماذا تناولت في الغداء ؟ »

- « تناولت دجاجاً مشويًا .. »

- « وحدك ؟ »

- « كلا .. كان معي صديق .. »

- « وكم كلفتما هذه الوجبة ؟ »

- « ثلاثون دولارًا .. »

لم يحب هذا .. هز رأسه ، وقال :

- « ثلاثون دولارًا ؟ للفرين ؟ »

ثم نظر إلى المحامين الثمانية ، ودعوت الله أن يكذبوا لو أنه سألهم .. هناك (كروش) ممتازة في هذه المجموعة ، وثلاثون دولارًا لا تكفيهم فتحاً للشهية ..

- « هل تعرف ما أكلته أنا ؟ »

- « لا .. »

- « أكلت حساء ومقرمشات في أحد الملاجئ .. حساء

مجاني سرتني أن ظفرت به .. يمكنك أن تطعم مائة من

أمثالي بثلاثين دولارًا .. هل تعرف هذا ؟ »

هزرت رأسى فى جدية كئسى تبينت فجأة حجم  
خطيئتى ..

لوح بمسندمه ، وقال :

- « اجمع كل المحافظ والساعات والمجوهرات .. »

- « هل لى أن أسأل لماذا ؟ »

- « لا .. »

هكذا وضعت حافظتى وساعتى على المنضدة ثم رحلت  
لأفشى فى جيوب رفاقى .. طلب منى أن أتصل برئيسى ثنية  
فرد ( رولف ) فوراً .. يمكننى أن أخيل قائد ( السوات )  
يقف فى مكتبه الآن ..

كان الرجل يريد أن أحمل حقيبة سوداء كبيرة لأضعها  
خارج لقاعة ثم أعود وأغلق الباب خلفى ، وهذا ما طلبته  
من ( رولف ) .. وتقدت ما قاله ثم عدت له .. سألنى من  
جديد :

- « كم من المال كسبت العلم الماضى ؟ »

قلت فى ارتباك :

- « انتظر .. دعنى أتذكر .. »

- « لا تكذب ! »

- « مائة وعشرون ألفاً ... »

بدا أن هذا لم يرق له بدوره ، فعاد يسأل :

- « وكم أنفقت منه على أعمال الخير ؟ »

- « آه .. دعنى أتذكر .. زوجتى تتولى شئون الإنفاق

والفواتير .. »

- « ومن يدفع ضريبة الدخل الخاصة بكم ؟ »

- « هذا تتولاه إدارة الضرائب الخاصة بنا . »

- « هل هى فى هذه البداية ؟ »

- « نعم .. »

- « إذن أوصلنى بهم .. أريد سجل الضرائب لكل

شخص هنا .. »

## اثان

بما أن (مستر) قد قام بتعيلنى ككاتب حسابات للمجموعة ، جلست حيث أشار لى بالمسدس وأمستت بالفاكس .. كان رفاقى قد وقفوا مدة ساعتين وظهرهم للجدر الآن وقد بدا عليهم الإرهاق والتعب ..

سألنى (مستر) :

- « أنت أولاً .. ما اسمك ؟ »

أجبت فى أدب :

- « مايكل بروك .. »

- « كم من المال كسبت العام الماضى ؟ »

- « قلت لك .. مائة وعشرون ألفاً قبل الضرائب .. »

- « وكم أنفقت منه على أعمال الخير ؟ »

كنت وثقاً من قدرتى على الكذب .. لست محاسباً  
ضرائب لكن بوسعى خداعه .. زوجتى (كلير) حصلت  
على ٣١ ألف دولار كطبية جراحة مقيمة ؛ لذا بدأ دخلنا

نظرت لوجوههم ، ورأيت فى وجه اثنين أنهما يوشكان  
على قول : هلم أطلق الرصاص علينا فهذا أفضل ..

لا بد أننى ترددت لأن (مستر) صوب المسدس على  
رأسى ، وصاح :

- « افعل ذلك الآن ! »

تصلت بـ (رونلف) الذى بدأ متردداً ، حتى صرخت فيه :

- « افعل ذلك الآن ...!.. أرسلها لى بالفاكس .. ضرائب  
آخر عام فحسب .. »

ورحنا نراهب آلة الفاكس فى الركن بانتظار الأرقام ،  
خائفين أن يقتلنا (مستر) لو تأخر وصول نموذج  
١٠٤٠ الخاص بالضرائب ..

\*\*\*

التكى عالياً .. وبعد دفع للضرائب ومصاريف دراسة (كثير) وإيجار الشقة الجميلة فى (جورجتاون) 2400 دولار فى الشهر استثمرنا ٢١ ألف دولار فى حساب مشترك ..

كان (مستر) ينتظر فى صبر .. وكنت أتخيل رجال (السوات) يرحقون هنا وهناك ويتسلقون الأشجار ، ويفعلون كل الأمور التى نراها فى السينما .. ومهنتهم وضع رصاصة فى جمجمته وبرغم هذا لا يبدو أنه مهتم لأى شيء .. لقد تأهب للموت واستسلم لقره .. وهذا لا ينطبق علينا .. قلت له :

- « تبرعت بألف دولار لجامعة (بيبل) وألفين لهيئة (الطريق المتحد) المحلية .. »

- « كم دفعت للفقراء ؟ »

- « (الطريق المتحد) تتخذ ما تراه مناسباً لأعمال الخير .. ودفعت ٢٥ ألف دولار كضرائب .. بالطبع أكثر هذا المبلغ يذهب للخدمات الطبية والأطفال معدومي الأهلية »

- « وهل فعلت هذا عن طيب خاطر ؟ »

- « لم أشك .. »

طبعاً كنت أكذب ..

- « هل شعرت بالجوع من قبل ؟ »

كان يحب الإجابات البسيطة ولم يرزقنى الله برد بليغ ، لذا قلت :

- « لا .. »

- « هل نمت فى الجليد ؟ أنت تكسب الكثير لكن جشعت بمنعك من أن تعطينى بعض الفكة فى الشارع »

ولوح بالمسدس فى الآخرين :

- « أنتم جميعاً .. تتجاهلوننى وأنا أتسول .. تلتفقون على قهوتكم أكثر مما تلتفقه على طعامى .. »

نظرت إلى هؤلاء الأوغاد فلم يكن منظرهم محبباً .. أكثرهم ينظر لقدميه .. وتخيلت ما يديره (السوات) الآن فى الخارج .. لقد نزع (مستر) وصلات الهاتف .. لا يريد الكلام مع أحد ولا المفاوضات .. إن جمهوره الوحيد هنا فى هذه القاعة ..

- « من من هؤلاء يكسب أكثر ؟ »

قلبت الأوراق حتى وجدت أوراق (مالامود) .. كانت  
للمرة الأولى التي يتاح لى فيها إبرك الحجم الحقيقي  
لنجاح هذا الزميل ، لكنى لم أجد فى ذلك مسعلة .. كان  
يكسب خمسين ألف دولار فى الشهر من الشركة ،  
ومكافأته الثابتة التي نحلم بها جميعا خمسمائة ألف ..  
- « كم من هذا المال أعطيت الفقراء والجياح ؟ »

قال (مالامود) :

- « لا أفكر .. لكنى وزوجتى منحنا الكثير للفقراء  
ونحن سعدان بهذا . »

طلب منى (مستر) أن أتون كشفاً باسم كل واحد  
وجواره ما حصل عليه وهم أعطى للفقراء .. استغرق هذا  
وقتاً لا بأس به ، ولكنى قدرت أنه من الخير لى ألا تعجل ..

لم يهدد بقتل رهينة كل ساعة ، ولم يطلب إطلاق  
رفاقه من السجن .. لا يريد أى شيء فى الواقع ..

ضايقتنى أن زميلى (بارى نوتسو) يكسب أحد عشر  
ألفاً أكثر منى .. سوف نناقش هذا فيما بعد ..

- « المجموع حوالى ثلاثة ملايين .. الإتفاق العام  
١٢٠ ألفاً .. »

قال فى غيظ :

- « لا أريد معرفة الإتفاق العام .. المال الذى تتفوقونه  
أنتم الأثرياء البيض على الأوركسترا والمحافل اليهودية  
والأندية .. أريد معرفة كم أنفقتم على الطعام للجياح ..  
فى هذه المدينة بينما تحققون الملايين بنام أطفال جياح  
يصرخون ويبيكون من السغب .. كم صرفتم عليهم ؟ »

- « ليس بشكل مباشر .. إن .. »

- « لغرس ! ومذا عن الملاجئ ؟ ومذا عن العيادات  
الشعبية التى يتنى لها الأطباء ليعالجوا الفقراء مجناً ؟ »

نظر لى (رافتر) كأنما بوسعى عمل شيء .. ربما  
أنظر للأوراق ثم أصبح :

- « اللعنة ! انظر ! لقد تبرعنا بنصف مليون دولار  
للعيادات الشعبية وحساء الفقراء ! »

لكن ليس أنا .. إن (مستر) أنكى مما يبدو ، وأنا  
لا أرغب فى أن أموت رمياً بالرصاص ..

مشى نحو النافذة ونظر إلى الخارج ، ثم قل بلا مبالاة :

- « شرطة فى كل مكان ، وسيارات إسعاف .. »

ثم نسى هذا كله وعاد لنا ليوجه مسدسه نحو (كولبيرن) ويسأله :

- « كم أنفقت على العيادات ؟ »

- « لا شيء .. »

قالها وأغمض عينيه متأهبا للبقاء .. لكن (مستر) ثم يطلق عليه الرصاص بل وجه المسدس نحو (نوزو) ويسأله ذات السؤال .. مر على الواقفين واحداً تلو الآخر مكرراً ذات السؤال لكنه لم يطلق الرصاص على (رافتر) كما تمنينا ..

- « ثلاثة ملايين ولا شيء للفقراء .. أنتم أناس تصعاء .. »

\*\*\*

عند العصر قال إنه جائع .. أمرنى أن أتصل برئيسى وأطلب حساء من إرسالية الميثودست ، فهم يضعون فى الحساء خضراوات أكثر ، والخبز ليس تالفاً كبقاى المطاعم ..

تساءل (رودلف) عبر مكبر الصوت :

- « هل المطاعم المجانية تقوم بتوصيل الطلبات ؟ »  
- « فقط الفعل هذا يا (رودلف) .. هات ما يكفى لعشيرة .. »

وتخيلت المحامين المتألقين محاطين بالشرطة يدخلون مطعم الإرسالية وسط الفقراء المنكبين على سلطانيات الحساء .. عشيرة طلبات .. خبز زيادة ..

سمعت صوت الهليكوبتر من جديد .. ما نوع الاحتحام الذى يخططون له والذى يتضمن هليكوبتر ؟ ربما هى هنا لإخلاء الجرحى ..

ظل (أمستيد) يتلوى لفترة ثم صاح :

- « معذرة يا مستر .. لكن لا بد لى من أن .. من أن أذهب للتواليت »

- « تواليت ؟ ما هو التواليت ؟ »

- « أريد أن أتبول يا سيدى .. لا أستطيع البقاء أكثر .. »

نظر (مستر) حوله حتى وجد مزهية من الخزف فى ركن الغرفة ، فأمرنى بأن أفك قيد (أمستيد) ثم نزع الأزرار منها ، وقال :

- « التوليت هناك .. »

هكذا أدار (أمستيد) ظهره لنا وتبول بينما نحن ننظر في الأرض .. ثم أمرني (مستر) أن أحمل المنضدة أنا و(أمستيد) لنضعها جوار الطاولة وأمر المحامين بالجلوس القرفصاء عليها .. لم أعرف السبب .. لكنني قدرت أنه يريد أن يصنعوا بأجسادهم ستاراً ضد القنصاة .. اعتقد أنه رأى بعضهم على سطح التبنية المقابلة وهذا ما عرفته فيما بعد ..

لا بد أن الحياة في الشوارع تعلم الصبر، لأنه اكتفى بالجلوس والتحديق فيما من خلف عويناته السود ..  
فجأة قال :

- « أنتم لا تتجاهلون الفقراء فقط .. بل تساعدون في طردهم من بيوتهم وإقائهم في الشوارع .. »  
هزنا رأسا موافقين .. يمكنه أن يتهمنا بأي شيء يشتهي ..

جاء الطعام أخيراً فدق الباب .. قال لي (مستر) أن أُنذر الشرطة أنه سيقتل واحداً منا لو رأى أي شخص خارج الغرفة ، وقد شرحت هذا (رودلف) ..

ثم إن (مستر) أمر (أمستيد) بأن يفتح الباب ببطء ..

انفتح الباب ورأيت الطعام على عربة صغيرة .. رأيت أربعة أوعية كبيرة من الحساء وكيساً مليئاً بالخبز .. تساءلنا عما إذا كان هناك شيء يُشرب ، لكننا لم نعرف الإجابة قط .

لقد دوت طلقة في الهواء ..

كان قنص شرطية يتوارى خلف خزان جوار مكتب مدام (دفييه) وقد ظفر بمجال التصويب الواضح الذي أراده .. حينما اتحنى (أمستيد) ليأخذ الحساء ظهر رأس (مستر) لربع ثانية فأطاره القنص ..

سقط (مستر) على الأرض بلا كلمة .. وسرعان ما تغطى وجهي بالدم .. حسبتني أصبت وصرخت .. ووثب سبعة المحامين من على المنضدة وهم يعوون ككلاب محترقة .. وسقطت على ركبتي أنتظر العجار الديناميت .. رفعت رأسي فرأيت (مستر) لآخر مرة على السجادة الثمينة ويداه إلى جواره ، غير قادرتين على بلوغ السلك الأحمر ..



فجأة امتلأت الردهة بفتية (السوات) بخوذاتهم  
الشرسة وواقبات الرصاص .. حملونا إلى المصاعد ..

سألوني :

« هل أصبت ؟ »

لم أعرف .. كان رأسي مغطى بالدم وسائل لزج ،  
أخبرني طبيب فيما بعد أنه السائل النخاعي الشوكي ..

\*\*\*

## ثلاثة

في الطابق الأول كانت الزوجات والأصدقاء ينتظرون ..  
دوت صرخات الفرح إذ رأونا ..

وكنت مغطى بالدم لذا أخذوني إلى الجمائيزيوم في  
القبو .. كانت شركتنا تمتلكه لكن أحدًا من المحامين لم  
يكن يستعمله لأننا مشغولون جدًا ، ومن المؤكد أن من  
يستعمله سيكلف بالمزيد من العمل ..

حاصرني الأطباء الذين ليست بينهم زوجتي ، فالتفتهم  
أن هذا الدم ليس دمي .. هكذا استرخوا .. ما أردته فعلا  
كان حمامًا .. أين (كلير) ؟ لقد ظللت تحت تهديد السلاح  
سنت ساعات وحياتي معقاة ، لكنها لا تقدر على المعجز ؟

كان الحمام دافئًا طويلًا ، وغسلت شعري عدة مرات  
ثم وقفت وتركت قطرات الماء تنحدر دهرًا .. عدت  
لمكتبتي بعد استبدال ثياب جمائيزيوم بشياشي فجاءت  
سكرتيرتي (بولي) والدموع في عينيها .. كنت بحاجة  
لرؤية هذا فعلاً .. وسألتنى :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « أعتقد هذا .. »

قبلنى ( رولف ) فى الردهة فاحتضننى ، وقال :

- « أهتك »

كأنى حققت إنجازًا ..

- « لا أحد ينتظر منك عملاً غداً .. »

قالت ( بولى ) وهى تضع المعطف على كتفى :

- « هناك صحفيون بالخارج »

نعم .. صحفيون ! ويا لها من قصة للإعلام ! لكن لم تعد هناك قصة .. لو أن الأمور سارت كما توقعا لدوت طلقة ثم انفجار وتنتظير الأثرع والسيقان من النوافذ مع البث الحى فى نشرة التاسعة ..

- « سوف أوصلك للبيت .. »

سرنى بشدة أن أجد من يخبرنى بما يجب أن أصنعه ..

كان هواء الليل بارداً عذباً ألم رنتى .. ووقفت فى الركن أرقب السيرك الدائر أمامى .. سيارة إسعاف تقف بانتظار جثة ( مستر ) بلا شك ..

أنا حى ! أنا حى !

أغمضت عيني واصلت صلاة شكر ..

\*\*\*

فى السيارة تكلمت أخيراً .. قلت لـ ( بولى ) :

- « لم يكن ينوى قتلنا .. »

سرت ( بولى ) لسماع صوتى ، فقالت :

- « وماذا كان يفعله إذن ؟ »

- « لا أعرف .. »

- « وماذا طلب ؟ »

- « لم يقل قط .. من الغريب أن تدركى أننا قضينا

عدة ساعات نتبادل النظرات لا أكثر .. »

- « أنت لا تلوم رجال الشرطة طبعاً .. »

- « لا .. ذكرينى بأن أكتب لهم خطابات شكر .. »

كانت شقتى فى ( جورج تاون ) وقد تخرجت من السيارة  
شاكراً ( بولى ) .. ورفعت رأسى للتواضع ففكرت أن ( كلير )  
لم تعد بعد ..

قبلت ( كلير ) بعد أسبوع من انتقالى إلى واشنطن ..  
كنت قد تخرجت فى ( بيل ) .. شركة غنية ووظيفة  
ممتازة .. قضيت عامى الأول أعمل خمس عشرة ساعة  
يومياً ستة أيام أسبوعياً ، وكنت أقليل ( كلير ) يوم الأحد ..

خطر لنا أنه لو تزوجنا لوجدنا وقتاً أفضل معاً .. وتم  
الزواج .. ثم عنت لأعمل تسعين ساعة فى الأسبوع ..  
بدأت بعدى عنها ولا لومها ، لكن للفرص فى العمل  
شأن المكافآت عالية قد تبلغ مليوناً فى العام ..  
القواسم أهم من الزوجات السعيدات .. الطلاق شائع جداً  
عندنا ..

بعد علم بلغت ( كلير ) ثروة تعاسنها وبدأت تتشاجر ..

العمل يزداد صعوبة .. فرصتى تتزايد فى الشركة ..  
قررت ( كلير ) أن تدرس فى مدرسة الطب .. فى النهاية  
صرت لنا وهى مدمنى عمل .. كلفنا عن الشجار وصرنا  
لا نرى بعضنا .. لحسن الحظ أننا لم نتجب ..

بدأت الشقة المظلمة شعرت بأنى أريد ( كلير ) لأول  
مرة منذ أعوام .. أنت تواجه الموت فحتاج إلى أن تحكى  
عنه .. أن يحتاج لك أحد .. أن يخبروك أنهم يهتمون ..  
بعد قليل سمعتها على الباب .. فتحتة وصاحت :

- « مايكل .. »

ثم سألتنى باهتمام حقيقى :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « بخير .. أين كنت ؟ »

- « فى المستشفى .. »

- « بالطبع .. كان يومى سيئاً .. »

- « أعرف كل شىء .. »

- « إن أُن كنت بحق الجحيم ؟ »

- « في المستشفى .. »

- « آه .. تسع رهائن في قبضة مجنون لمدة ست ساعات وأنت في المستشفى .. يا لى من شخص فظا »

جلست جوارى على الأريكة ، وقالت ببرود :

- « لم أستطع المجيء .. أرغمونا على البقاء في المستشفى ، فقد سمعنا عن موضوع الرهائن .. كان هناك احتمال أن تحدث إصابات .. هذا وضع إجبارى .. وما كان بوسعى أن أساعدك لو جئت مكتبك .. »

ذهبت للمطبخ وعادت بشراب .. ثم جلست جوارى فى شبه الظلام .. لأننا لم نكن نمارس الاتصال فقد وجدنا صعوبة فى بدء المحادثة ..

- « هل ترغب فى الكلام عن ذلك ؟ »

- « لا - ليس الآن .. »

بالفعل لم أكن أرغب .. لقد بدأت الحبوب المهدئة التى أعطونيها تعمل .. فكرت فى (مستر) وكيف كان هادئا برغم أنه يحمل مسدسا ويطوق خصره بالديناميت .. لم يكن يضايقه الصمت ..

الصمت هو ما أريد وغدا أتكلم ..

\* \* \*

## أربعة

صحوت في الرابعة من صباح اليوم التالي وأنا أشم رائحة تلك المسفل الذي سأل على أنفى من مخ (مستر) .. أصابنى الذعر وانتفضت في الأريكة حتى سمعت من يتحرك .. (كلير) كانت غافية على المقعد بجوارى ..

قالت في نعومة :

- « كل شيء تمام .. مجرد كابوس .. »

- « هلا جلبت لى بعض الماء ؟ »

ذهبت إلى المطبخ .. وجلسنا نتكلم نحو ساعة .. حكيت لها كل شيء وظلت تصغى فى انتباه .. لم تكن نتكلم تقريباً فى الأعوام الأخيرة ..

كانت تقوم بالمرور فى السابعة ؛ لذا طهوننا الإفطار معاً وتناولناه فى المطبخ أمام التلفزيون الصغير .. أخبار السادسة صباحاً تحكى عن دراما الرهائن (مستر) كان اسمه (ديفون هاردى) .. فى الخامسة والأربعين .. محارب سابق فى فيتنام له صحيفة سوايق صغيرة .. لا أسرة .. لا يوجد حافظ واضح ..

كنا فى الثمانى عشر من فبراير . وقد توقعت النشره الجوية سقوط ثلوج عصاراً .. فى السادسة وأربعين دقيقة قادتنى (كلير) بسيارتها إلى المكتب . ولم أدهش عندما وجدت سيارتى (اللكماس) تقف وسط العديد من السيارات . فمساحة الانتظار لا تخلو أبداً . لدينا قناس يتامون فى المكتب ..

دخلت البناية فحييت ضابطى الأمن الجالسين . واتجهت إلى أحد المصاعد .. ذلك الذى استقلته مع (مستر) أمس .. لماذا اختار شركتنا بالذات ؟ لماذا أنا بالذات ؟ كيف اجتاز موظفى الأمن ؟ لماذا الطابق السادس ؟

ثم لماذا فعل ذلك ؟ هل ربط نفسه بالديناميت لمجرد أن يلوم بعض المحامين الأثرياء على بخلهم ؟ كان يوسعه أن يجد قوماً أغنى وأكثر شراهة ..

توقف المصعد فخرجت منه ..

فتحت باب قاعة الاجتماعات .. لا أثر لشيء .. حتى السجادة التى مات فوقها (مستر) قد تم استبدالها بواحدة أفضل .. وقد تم دهان الجدران بطبقة طلاء طازجة .. حتى ثقب الرصاصة فى السقف اختفى ..

لقد أنفقوا مالا ليلة أمس حتى يصير الحادث كأنه لم يكن .. وماذا كنت أتوقع ؟ نصبا تنكاريًا ؟ كومة ورود جنبها زملاء (مستر) من المتسكعين ؟

وجدت على مكتبي نسخة من ( واشنطن بوست ) ففتحتها .. عرفت من المقال للمكتوب عن الحادث بعض أشياء .. الديناميت لم يكن كذلك .. كان عصي مكسبة تم طلاؤها وقطعها لتبدو كالديناميت .. الممدس مسروق ..

باقى المعلومات مصدرها من يدعى (موريساي جرين) وهو محام من العيادة القانونية Law clinic فى شارع ١٤ قرب (لوجان سيركل) .. كان (مستر) يعمل كساع فى مشتل تعليمي ثم فصل من عمله بغرض تخفيض الإئفاق .. دخل السجن بضعة أشهر للسرقة ثم فُتف فى الشارع .. طرد بحكم قانونى من مستودع كان ينالم فيه . ليس من الصعب معرفة شركة للقانون التى تتولى قضايا كهذه بين آلاف الشركات فى واشنطن ..

لم تعلق الصحيفة على الخبر أكثر من هذا .. لو مات المحامون التسعة الأترياء لكانت قصة مثيرة جداً .. حمداً لله أن الأمر ليس كذلك .. أنا الآن أجلس على

مكتبى أطالع الصحيفة .. كان ممكناً أن أكون فى المشرحة إلى جوار جثة (مستر) ..

\*\*\*

جاءت (بولى) بعد قليل باهتسامة عريضة وطبق من الحلوى .. فى الحقيقة جاء كل المحامين التسعة .. لو تغيب أحدهم لكنت علامة على الضعف ..

جاءت مكالمة من آرثر .. لدينا فى الشركة حوالى عشرة (آثرات) لكنه الرجل الذى لا يحتاج لذكر باقى اسمه .. كان (آرثر جاكوب) كبير الشركاء .. المدير التنفيذى .. رجل نحترمه ونعجب به ، وقد كلمته ثلاث مرات لا أكثر خلال سبعة أعوام ..

هناى على رباطة جأشى حتى شعرت بأننى بطل .. وقد طلب أن يقابل الزهالن فى العائسرة .. يريد أن يسجل إفلاتنا على شريط فيديو ..

- « ولماذا ؟ »

كان صوته حاداً كالتموسى برغم أعوامه الثمانين وهو يقول :

- « نرى أنها فكرة طيبة .. نعتقد أن أسرته ستحاول مقاضاة رجال الشرطة .. وسوف يطلب رجال الشرطة منا الدفاع عنهم .. »

حمداً لله .. أين كنا سنكون من دون دعاوى قضائية ؟  
رحمت أحاول أن أعمل .. أماسى كومة من الملفات ..  
نكتفى لم أستطع .. لقد تغير كل شيء .. لم يعد مكتفى  
يمثل الحياة والموت ..

لقد رأيت الموت .. ومن سذاجتى حسبت أن بوسعى  
أن أهز كتفى وأواصل حياتى العادية ..

كنت راغباً فى الرحيل .. قلت لـ ( بولسى ) إن لىدى  
مهمة يجب القيام بها .. ذكرتنى باجتماع ( آرثر ) ..  
استقلت سيارتى وشغلت السخان وجلست فترة أفكر ..  
لو لم ألحق بالاجتماع لتضايق آرثر .. لا أحد يقوت  
اجتماعاً مع آرثر .. لا بأس .. هذه فرصة نادرة  
لارتكاب الحماقات .. فلنا تحت تأثير الصدمة ، وسوف  
يكون على آرثر أن يقبل هذا ..

\* \* \*

كانت السحب تتأهب فى الجو والعاصفة قادمة ..  
مررت بمتسول على قارعة الطريق فتساءلت إن كان  
يعرف ( ديفون هاردى ) ..

قلت سيارتى نحو ( لوجان ميركل ) حتى وجئت العيادة  
القانونية فى الشارع ١٤ .. كانت بناية من ثلاثة طوابق بنيت  
بالقرميد الأحمر .. بناية فكتورية رأت أياًما الفضل .. كان  
الباب مفتوحاً فمدت يدي للمقبض وطلقت إلى عالم آخر ..

كان هذا مكتب محاماة ، لكنه يختلف عن الرخام  
والمهاجنى فى شركة ( دريك وسوينى ) .. كانت هناك  
أربعة مكاتب معدنية عليها ملفات .. وكان هناك رف  
مخصص للملفات يستند إلى جدار .. عمر الهواتف  
ومسقات الكلمات يتجاوز عشر سنوات ..

كانت هناك امرأة ( هسبانية ) شرسمة تطبع على  
آلة كتابة سألتنى :

- « هل تريد شيئاً ؟ »

كان هذا تحدياً أكثر منه سؤالاً .. ولو أن سكرتيرة فى  
مكتبنا تعاملت هكذا لطردت .. اسمها ( صوفيا مندورا )

( \* ) ذات جذور إسبانية من أمريكا الجنوبية .

- « أعتقد أن يومك كان عصياً .. »

- « ليس كيوم ( هاردي ) .. قرأت اسمك في الجريدة لذا جئت .. »

- « لست متأكدًا مما هو مطلوب مني »

- « هل تعتقد أن أسرته سترفع قضية ؟ لو كان الأمر كذلك فلربما وجب أن أقصرف .. »

- « لا أسرة له .. يمكنني أن أحدث بعض الضوضاء .. لا بد أن الشرطي الذي قتله كان أبيض .. ربما استطعت الحصول على بعض المال من البلدية ، لكن هذه ليست فكرتي عن التسلية ، قاله يعلم أن عدي ما يكفيني من مشاكل .. والآن هل هذا سبب فنومك ؟ »

- « لا أعرف سبب قدومي .. لقد ذهبت لمكتبي صباحًا فلم أستطع أن أعمل وهناك .. »

ثم سألته :

- « أين هو الآن ؟ »

- « مشرحة المدينة .. سوف يعدون له جنازة على سبيل الصدقة .. »

كما عرفت من الاسم على مكتبها .. سألتها عن يدعى (موردخاي جرين) ..

كان (جرين) رجلاً أسود بدينًا في الخمسينيات له لحية رمادية وعيون مستديرة .. سألتني بصوت كالرعد :

- « كيف أساعدك ؟ »

- « (ديفون هاردي) »

نظر لي لوهلة ثم للسكينة ، ثم أشار لي إلى مكتبه .. كان هذا المكتب غرفة ضيقة تنتشر فيها الملفات على الأرض ..

ناولته بطاقة الشركة ، وقلت :

- « جئت بالسلام .. لقد كانت رصاصة مستر (هاردي) تفتك بي .. »

- « هل كنت هناك ؟ »

وأخذ شهيقًا عميقًا وزال العيوس عن وجهه .. دعاني للجلوس على المقعد الوحيد ، فجلست وأنا أنس يدي في جيبى مغطى .. أنا الذي بدت فطري أن أبدأ الكلام .. لكنه هو الذي قال أولاً :



- « هل كان مصابًا بالإيدز ؟ »

- « لماذا تصال ؟ »

- « لأن دمه تنتثر على وجهي لحظة مصرعه .. »

- « كلا .. لم يكن مصابًا بالإيدز على قدر علمي .. »

هنا دخل المكتب رجل ملتجح رسمت على وجهه علامات المحامى الذى يحاول أن ينفذ العالم .. عرفت فيما بعد أن اسمه (أبراهام) .. لم يحفل (جرين) بتقديمي له ، وقال :

- « الجليد قادم . يجب أن نتأكد من أن كل الملاجئ مفتوحة .. »

. ثم التفت لى ، وقال :

- « هل هذا كل ما جئت من أجله ؟ الاطمئنان على الدم ؟ »

- « كلا .. أريد أن أعرف لم فعل ذلك ؟ »

- « كان مختل العقل ككل هؤلاء الذين يمشون حياتهم فى الشوارع وينامون فى البرد غارقين فى الخمر ،

ويطردهم رجال الشرطة .. لابد أن تجن .. كان (هارى) يقيم فى مستودع مهجور اتخذه قواد سابق مأوى لمن لا بيت له .. ثم جاءت شركة اسمها (ريفر أوكس) استطاعت الحصول على هذا المستودع وطربت من فيه . «  
- « وهناك احتمال لا بأس به أن شركتى هى التى مثلت (ريفر أوكس) .. »

- « نعم .. يقوونون إن الطرد تم دون إخطار مجموعة المتشردين هذه .. وهم كانوا يدفعون إيجارًا .. أى إنهم كانوا مستأجرين ولم يكونوا مقيمين بوضع اليد .. »  
- « وأين هذا المستودع ؟ »

- « لم يعد هناك مستودع .. لقد سووه بالأرض الأسبوع الماضى .. »

ونظر لساعته . حقًا أخذت من وقته أكثر من اللازم .. غلرت المكتب وتجاهلت (صوفيا) التى تجاهلتنى بدورها . وفى الخارج كانت سيارتى تنتظر وعليها جليد سمكه بوصة ..

## خمس

كنت لشعر بالنفء والراحة فى سيارتى ، لذا رحلت  
أجوب شوارع المدينة وسط الثلج المنهمر ، لا أعرف  
أين أتذهب .. لكنى لم أرغب فى العودة للمنزل ..

اتصلت بى ( بولى ) تخبرنى أن ( آرثر ) يسأل عنى  
وكذا ( رولف ) .. الكل يبحث عنى .. قلت لها بلى عند  
الطبيب ..

- « هل هذا صحيح ؟ » -

- « ممكن .. » -

فى الرابعة مساء كانت المدينة شبه خالية والسماء  
مظلمة ..

اتجهت إلى الشركة ، حيث أخبرنى رجل الأمن أن أكثر  
المحامين والموظفين قد عادوا لبيوتهم فى الثالثة بسبب  
الطقس اللعين .. ركبت المصعد إلى مكتبى وفتحت جهاز  
الكمبيوتر أتفقد بيانات عملنا ..

كانت شركة ( ريفر أوكن ) قد تأسست عام ١٩٧٧  
ومقرها فى ( هيجرستاون ميريلاند ) .. كان محامياها  
عظما هو ( بريدن تشاتس ) .. اسم أعرفه .. إنه يعمل  
فى العقارات فى الطابق الرابع من هذه البناية وعمره  
٤٤ عاما .. درس القانون فى ( دوك ) وتخرج فى  
( جستريج ) .. وجدت ببيانات استيلاء الشركة على  
المستودع الذى أعرف أن من بين سكانه مستر  
( هاردى ) .. للرجل الذى أخذ الأمر بشكل شخصى  
وقرر عقاب المحامين الذين طردوه ..

لم أكن أفهم فى العقارات ولنسبب ما كنا نعتبر  
المختصين بها أقل شأنًا من باقى التخصصات .. كنت  
لنا عمل فى مجال الضرائب ، وهو مجال معقد لكنه يلقى  
أفضل التقدير فى هذه الشركة .. لهذا لم أفهم لماذا يفضل  
بعض المحامين أن يعملوا فى العقارات ..

اتجهت إلى تطبيق الرابع وبحشت عن ( تشاتس ) الذى  
بدا لى مشغولًا جدًا .. كان البيروتوكول يقضى بأن اتصل  
أولاً وأحدد موعدًا ، وهذا لم يجعل مزاجه أكثر صفاء ..

كان هناك موظف يتابع حديثنا باهتمام وإن تظاهر بأنه يفتش فى بعض الملفات ..

سألته عن موضوع طرد ( هاردى ) فبدأ عصبياً ..  
أتركت على الفور أنهم تبهوا للاسم ولابد أنهم درسوا  
الملف جيداً هذا الصباح .. قال لى :

- « كانوا سكاناً بوضع اليد .. »

- « هل أنت متأكد ؟ هل لى أن أرى ملف للقضية ؟ »

- « لا .. هذا ليس من شأنك .. وأنا مشغول جداً لذا  
أستأذنتك فى الرحيل .. »

ابتسمت له واتصفت ..

عندما مررت جوار الموظف ، سمعته يقول بصوت  
واضح لا شك فيه :

- « يا له من جحش ! »

يتكلم عن رئيسه .. إذن هناك سبب ما يدعوهم  
لإخفاء ملف قضية الطرد .. ما هو ؟

\*\*\*

كان هناك صراع دالم بينى و ( كلير ) حول أين أكثر  
أهمية .. الجراح أم المحامى ؟ هى كانت تملك الكثير  
من الطموح .. تحلم بأن تكون أعظم جراح أعصاب فى  
العالم .. للجراحة التى يلجأ إليها الرجال عندما يفشلون  
فى كل شىء ..

أما أنا فكنت أحلم بمرتبة الشريك .. فى شركتنا يحصل  
الشريك على مليون دولار ربما مليونين فى العام ..  
فلو حققت هذا فى سن الخامسة والثلاثين ، فمعنى هذا  
أن أسامى نحو ثلاثين عاماً من الثراء ورغد العيش ..  
هذا هو الحلم الذى كان ييقيننا فى مكاتبنا ليلاً  
ونهاراً ..

كنت أفكر فى ( مورخاى جرين ) .. كلاًنا درس القانون  
وكلاًنا مر بذات الاختبار ، لكننى أساعد عملاى على ابتلاع  
مناسبتهم حتى يضيفوا المزيد من الأصفار لحسابهم ،  
بينما هو يساعد المتشردين على العثور على مأوى  
وظعام ..

## سنة

أخيراً توقف الجليد ، وكنت و (كلير) ترشف القهوة في المطبخ .. كنت أطلع الجريدة في ضوء الشمس الساطعة ، وعرفت أن المطار الدولي صار مفتوحاً للطائرات بعد فترة توقف .

قلت لها :

- « فلنذهب إلى فلوريدا .. »

- « الآن ؟ »

- « أو البهاما .. يمكن أن نكون هناك قبل العصر .. أنا لن أعمل لعدة أيام .. »

- « لماذا ؟ »

- « لأنني أتأخر .. وفي شركتنا لابد لمن ينهار أن يظفر بإجازة بضعة أيام .. »

قالت :

- « لا أستطيع .. »

هنا أخرجتني من خواطري ( كلير ) ، إذ اتصلت بي تسألني لماذا لم أمر عليها في المستشفى .. قلت لها إنني كنت مشغولاً .. وهي حيلة أخرى بيننا .. كل طرف يتظاهر بأنه شديد الاهتمام ..  
هذه ليلة أخرى قد هضمت .

\*\*\*

وهكذا انتهى الموضوع .. كانت مجرد نزوة .. وكنت أعرف كثرة ارتباطاتها .. لم تكن لتأتى معى فى كل الظروف .. إنها محاصرة بالمحاضرات والمرور والجراحات .. حياة طبيب مقيم طموح ..

أوصلتها إلى المستشفى ، ولم تبدل كلمة ونحن نخترق تشوارع المغطاة بالثلج .. قلت لها بلهجة الأمر الواقع :

- « سوف أسافر إلى ممفيس بضعة أيام .. »

قالت بلا اهتمام :

- « حقاً ؟ »

- « أريد رؤية أبوى .. لقد مر عام وأنا لست فى حال تسمح لى بالعمل .. »

- « اتصل بى إنن »

قالتها وفتحت الباب وخرجت .. لا كلمات وداع ولا حرارة لا قبيلات ..

لقد انتهى كل شيء .. أكره أن أخبر أمى بهذا ..

\*\*\*

كان أبواى فى أواخر الستينيات من العمر ، لكنهما بصحة طيبة .. لقد عملا بجد واستخرا من المال ما يكفى لتعيش فى أعلى الطبقة المتوسطة .. كقاصدين محافظين وطنيين يحبان بعضهما .. وكانا حزبيين بسبب طلاق أبى منذ ثلاثة أعوام ..

كان محامياً فى أطلالنا تزوج حبيبته فى الكلية .. بعد طفلين ضد الزواج وحصلت هى على حضنة الطفلين ..

استأجرت سيارة من مطار ممفيس ، واتصلت بأبى لأخبرها بقدمى ..

ما إن رأتنى حتى عانقتنى ، وقالت :

- « تبدو متعباً .. »

وهى تحيتها المعتادة ..

- « شكراً يا أماه .. وأنت تبدو رائعة .. »

وكانت كذلك فعلاً ..

سألتنى ونحن نرشف الشاي المثلج فى الكوخ الخشبي بالحديقة :

- « أحاول يا أمي لكن هذا ليس سهلاً .. »

- « والسبب ؟ »

- « لا شيء .. شخصان يمشيان في طريقين منفصلين ..  
أعمل سبعين ساعة في الأسبوع وهي تعمل الثمانين  
الباقية .. »

- « المال ليس كل شيء .. »

ورأيت الذمعة يتجمع في عينيها .. كنت أعرف ما  
تفكر فيه .. اثنان فشلوا .. كانت تعتبر فشل زواجي فشلاً  
لها .. حاولت أن أبتعد عن الموضوع بأن أحكى لها  
قصة (مستر) .. لو كانت قد نشرت في صحف (مفيس) ..  
لقد فاتها أن تقرأها ..

\* \* \*

قلت لأبي هذا العشاء ، ونحن في ملعب الجولف :

- « لقد سمعت هذه للشركة يا أبي .. »

قال أبي :

- « مرحباً بك في عالم الواقع .. هل تحسب الرجل  
الذي يعمل على مكبس في مصنع غير منهك مما يقوم به ؟  
على الأقل أنت تكون ثروة .. »

- « أين (كلير) ؟ أنتما لا تتصلان بنا أبداً .. لم  
أسمع صوتها منذ شهرين »

- « بخير يا أمه .. كلانا سعيد وبصحة طيبة وتعمل  
بلا توقف .. »

- « هل هي في أمان ؟ »

- « في أمان كأي شخص في واشنطن .. إنها تقيم  
في المستشفى ، ورأيت أن هذا أفضل مكان يوجد فيه  
المرء في تلك المدينة .. »

- « هل تمضيان وقتاً كافياً معاً ؟ »

- « ليس تمامًا .. »

بدا قلق الأمهات في عينيها ، وسألتني :

- « هل هناك متاعب ؟ »

- « نعم .. »

- « تأكدت من هذا .. بالتأكيد أنت لا تسعى للطلاق .. هل  
جربت استشارة خبير زواج ؟ لماذا لا تعطى زواجك  
فرصة ؟ »

ثم ضرب الكرة ، وقال :

- « هل تفكر فى تغيير مهنتك ؟ »

- « ربما .. »

- « وماذا تعمل إذن ؟ »

- « لا أعرف .. الوقت مبكر لهذا .. »

- « إن كيف تعرف إن كان العشب أكثر اخضراراً ؟ »

كنت أهاب هذا الرجل ذا الشعر الأبيض كثيراً .. لقد علم ابنيه أن يكافحا وأن يصيرا قويين .. يكونا ثروة وينعما بحياتيهما على الطريقة الأمريكية ..

قلت مفكراً :

- « أفكر فى الخدمة العامة .. »

- « ما هذا بحق الجحيم ؟ »

- « معنى هذا أن تعمل لخدمة الناس دون أن تحصل على ثروة .. »

قذف الكرة من جديد .. لكنها كانت رمية سيئة لأن اهتمامه تشتت ، وقال :

- « أكره أن أراك تفسد مهنة طيبة يا بنى .. لقد عملت بجد لتصل إلى ما أنت فيه .. اعتقد أنك بحاجة للفترة راحة بعيدة عن العمل ، وهذا كل شيء .. »

دعوتهما للعشاء فى مطعم فاخر ، وبذلنا جهداً كبيراً حتى لا نتكلم عن الحادث وزواجى والأحفاد الذين لن يرباهم ..

وبوم الجمعة ظهراً رحلت قبل موعد الطائرة بأربع ساعات .. متجهاً إلى حياتى المرتبكة فى واشنطن ..

\*\*\*

## سبعة

باتطبع كانت الشقة خالية عندما عدت مساء الجمعة ..  
لكن كانت هناك مذكرة على تضد المطبخ .. إن (كلير)  
ذهبت لأسرتها فى (بروفى دانس) لبضعة أيام مقتنية  
بخطواتى . لم نقل السبب ، لكنها طلبت أن أتصل بها  
لدى عودتى ..

اتصلت بأبويها فى وقت العشاء ، فعرفت أنها بخير  
وسوف تعود عصر الأحد ..

أعتقد أن (كلير) تحكى لأبويها ذات القصة المؤسفة التى  
أزعجت أبوى بها يوماً ما - على الأرجح الاثنين - سوف  
نجلس معاً فى المطبخ ونناقش الأمر ونعترف بأن كل  
شئ انتهى .. سوف نتحدث عن مستقبلنا منفصلين ..  
أعرف ما سأقول بالضبط ..

خرجت أمشى فى المدينة التى ما زال الجليد يكسوها ..  
كنت مرهقاً من كثرة العمل .. برغم أننى فى الثانية  
والثلاثين ، فقد كان على أن أعترف بأننى مرهق ولم  
أعد طازجاً كما كنت يوم تخرجى ..

كان الجو شديد البرودة لذا ابتعت شطيرة ، وضعتها  
فى جيبى وعدت لشقتى .. أشعلت ناراً ، وتناولت عشائى  
فى القلام وحيداً جداً .. فى أمسيات كهذه كنت أجد  
لنفسى العار كى أذهب للشركة .. لكن غيابى لن يحدث  
أى فرق ، ناك .. مكتبى سوف يحتله خلال دقائق أى  
واحد من صف المحامين الشبان ..

فى التاسعة دق جرس الهاتف فأفزعتى . كان هذا  
(مورخاى جرين) يصيح :

- « هل أنت مشغول ؟ »

- « لا .. ليس تماماً .. ماذا هناك ؟ »

- « الجليد ينهمر ونحن بحاجة لأيد عاملة هنا .. هل  
لديك ساعات تمنحها لى ؟ نحن بحاجة لمن يساعدنا ..  
المطبخ ومطاعم الحساء مزدحمة ، وليس لدى متطوعون  
يكفون .. »

- « لا أعتقد أننى مؤهل لذلك .. »

- « هل بوسعك أن تدخن الخبز بزبد الفول السودانى ؟ »

- « أعتقد هذا .. »



« إذن أنت مؤهل .. نحن على بعد عشرة مربعات من مكتبي عند تقاطع الشارع ١٣ مع ( إيليس ) .. هناك كنيسة على اليمين اسمها ( إنرز ) .. نحن فى القيو .. »

كانت هذه منطقة خطيرة .. لا بد من سلاح .. ترى هل يحمل واحداً ؟ لكنه زنجى وأنا لا .. ماذا عن سيارتى الفاخرة ؟

لكنى قلت له وقلبي يخفق :

« سوف أكون عندك بعد عشرين دقيقة »

ارتديت ثياباً رخيصة وانترعت من حافظتى بطاقة الائتمان وكل ما هو ثمين ، ثم وجدت عندي سترة قديمة ملوثة بالقهوة والطلاء ارتديتها . لشد ما أحتاج إلى سترة واقية من الرصاص .. لكن ما إن خرجت إلى البرد حتى شعرت بآثار عظيمة ..

\*\*\*

وجدت الكنيسة ومكاناً أوقف فيه سيارتى .. اجتزت المنخل إلى عالم الذين لا بيت لهم ..

أصابنى لذهول من عدد الفقراء المحتشدين فى القيو .. بعضهم يرقد على الأرض ، وبعضهم يلتف فى مجموعات صغيرة .. كل بوصة مربعة احتلها بشر .. البعض يأكل على موائد طويلة .. كان المتطوعون يمررون البطاطين والتفاح ..

المطبخ يعج بالحرمة واستطعت أن أرى (موردخاى) يصب عصير الفاكهة فى أكواب ورقية ، بينما ينتظر طابور من البشر فى صبر على الموائد .. كانت الغرفة دافئة وقد امتزجت روائح الطهى لتصنع خليطاً ليس منفراً ..

سر (موردخاى) لدى رؤيتى ، وقدمتى لاثنتين من المتطوعين .. ثم طلب منى أن أحمل صينية من خبز أبيض ، وقال :

« عندك سجق هنا ومستردة ومايونيز هناك .. ضع مستردة على نصف الشطائر ومايونيز على نصفها .. شريحة سجق وشريحاً خبز .. من وقت لآخر اصنع دستة شطائر يزيد الغول السودانى .. مفهوم ؟ »

ثم ضربتني على كتفى واختفى ..

- « كم من الناس يقيمون هنا ؟ »

- « لا أحد .. إنه مجرد مأوى لتقديم الطعام ، لكن الكنيسة تفتحه في وقت العواصف .. »

- « إذن أين يقيم هؤلاء ؟ »

- « بعضهم - وهم المحطوظون - يسكنون بوضع اليد في مبان قديمة .. نكن أكثرهم ينامون في الحدائق أو الشوارع أو محطات الحافلات .. لكن هذا مستحيل الليلة .. »

- « وعم عدد الذين لا بيت لهم في المدينة ؟ »

- « سؤال جيد لأنه من الصعب أن نحصيهم .. أغلب الظن أنهم عشرة آلاف .. »

ثم تركني ليواصل العمل ، وفي هذا الوقت رحل أحد المسؤولين عن عمل الحساء ؛ لذا وجدت مهمتي هي تقطيع الجزر والكرفس جوار واحدة من المتطوعات تدعى مس (دوللي) كتبت تراقب عملي بصرامة ، وقد قالت لي أكثر من مرة إن قطع الكرفس كبيرة ..

سألتها :

- « ألم تعتدي بعد رؤية هؤلاء القوم ؟ »

كان المتشردون يقفون بانتظار دورهم .. كل واحد يأخذ سلطانية حساء ومنعقة خشبية .. نصف شطيرة ، ثم تفاحة .. وفي النهاية كوبًا من عصير التفاح .. وجوه لا تفارق الطعام ..

كاثوا يأكلون ببطء لاستيقاء مذاق الطعام ودفئه في فمهم أطول وقت ..

في المطبخ كان هناك من يقطع الخضر ، ومن يعنى بالموقد .. حتى هذه اللحظة أنا رجل الشطائر الوحيد ..

قلت لـ (مورخاي) :

- « الخبز ليس طرّجًا .. »

- « نعم .. وهو مجقى كذلك .. يتبرع به مخبز قريب .. هل لك في شطيرة ؟ »

- « شكرًا .. تناولت عشائي .. »

- « ما أول كلمة تتداعى إلى ذهنك ؟ »

- « لا جدوى .. »

- « هذا متوقع .. لكنك سوف تعتد هذا وتتغلب عليه .. »

قالت ، وهي تمسح يدها في منشفة :

- « لن أعتك أبدا يا عزيزي ، مازال المشهد يحطم قلبي ، لكن المثل يقول : سعيد هو الرجل الذي يطعم الفقراء .. »

ثم قلبت الحساء ، وقالت :

- « الدجاج جاهز لك .. »

- « وما معنى هذا ؟ »

- « معناه أن عليك أن ترفعه عن الموقد وتصب الحساء في إناء ، ثم تنزع العظام عن الدجاج .. »

كان هناك فن خاص لنزع العظام باستعمال طريقتها ، لكن أناملني احترقت وامتلائت بالفقايع حينما انتهيت .

ماذا أفعله هنا ؟ وماذا لو رأني رفاقي ؟ هنا في قبو كنيسة في بقعة خطيرة من واشنطن .. وسط اثنين لا بيت لهم .. فقط كنت أعرف أن سيارتي قد ضاعت للأبد على الأرجح ، ومن المستحيل أن أخرج الآن من دون (موردخاي) .. فتى أبيض ثرى في هذا المكان هو دعوة للنسطو أو الاعتداء ..

إنها الثالثة صباح السبت وقد وجب أن أرحل .. مشى معي (موردخاي) في الشارع ، وشكرني على مجيئي .. كنت سيارتي حيث تركتها ، وقد غطاها المزيد من الثلج .. وقف الرجل جوار الكنيسة يرقبني وأنا أبتعد ..

\*\*\*

## ثمانية

لم أصل ساعة واحدة فى شركة (دريك وسوينى) منذ  
لقدى بـ (مستر) يوم الثلاثاء .. كنت أحصل ثمانى ساعات  
يوميًا ستة أيام فى الأسبوع .. فإذا تأخرت فى تحصيل  
الساعات كنت أمضى اثنتى عشرة ساعة يوم الأحد ..

كنت الآن أرمق السقف فى غرفة نومي صباح السبت ..  
لا أستطيع ولا أريد الذهاب للعمل .. الأوراق اللوردية  
الخاصة بمكالمات الهاتف التى تضعها (بولى) على مكتبى،  
والاجتماعات .. والترثرة والقبيل والقتال .. مع (كيف  
حالك ؟) من هؤلاء القلقين على سلامتى .. ثم العمل  
نفسه .. شركة تملك بليون دولار تقاضى أخرى ..

أعترف الآن أننى لم أحب عملى قط .. كان مجرد  
وسيلة ..

أرغمت نفسى على مغادرة الفراش والوقوف  
تحت الدوش ، ثم أظفرت ببعض الكرواسان  
والقهوة ..

وصلت إلى الشركة وعلى الفور قابلت أحد زملاي ..  
(بروس) شىء ما دخل المصعد وقال لى بجدية :

- « كيف حالك ؟ »

- « بخير .. وأنت ؟ »

لحسن حظى رحل فى الطابق الثالثى .. وصعدت إلى  
الطابق الذى يوجد فيه مكتبى لأسترخى فى مقعدى  
الجلدى .. عدت على مكتبى ٣٩ مذكرة وردية تحوى  
المكالمات التى وصلتتى .. من تواضع أن (رودلف) فصل  
كثيراً وكان فى حالة جنون .. خمنت هذا من خط (بولى) !  
ليذهبوا إلى الجحيم .. أريد أولاً أن تهنى قهوتى فى سلام ..

كنت أفعل هذا عندما ظهر (رودلف) .. لايد أن  
الجوايسس أبلغوه ..

جلس ووضع ساقاً على ساق ، ثم قال :

- « مرحباً .. »

- « مرحباً يا (رودى) .. »

ثم أكل له قط ( رودي ) في وجهه ، وإنما ( رولف ) ..  
سألني دون أي تعاطف :

- « أين كنت ؟ »

- « في ممفيس .. »

- « ممفيس ؟ »

- « نعم .. أردت أن أرى أبوي .. ثم إن طبيب الأسرة  
النفسي هناك .. أراد أن يلاحظني يومين »

كنت أكذب ولم يضايقتني الكذب .. إن الشركة تستطيع  
متى شأعت أن تكون خشنة بل قاسية ، ولنا لمت في  
حالة تسمح لي بتلقي لوم ( رولف ) ..

- « كان عليك أن تبلغ أحداً .. »

قالها في خشونة ، لكنني كنت أعرف أنه سيلين ..  
بعد قليل قال :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « الطبيب النفسي قال إنني بخير .. »

ابتسم ثم غادر مكتبي .. سوف يتصل بأحد المديرين  
ليخبره أن فارس الشركة قد عاد إلى سرجه ..

ظلت على المكتب ساعة أليمة ، أحاول أن أفهم شيئاً  
من القصصات هناك .. في النهاية غادرت المكان ..  
فررت دون أن يقبض علي أحد ..

\*\*\*

توقفت أمام صيدلية تعطي تخفيضات في  
( ماساتشوستس ) وابتعت أشياء كثيرة .. حفاظات  
للأطفال وحلوى وشايًا .. لم أستمع في حياتي بانفاق  
مائتي دولار كما شعرت في هذه اللحظة ..

توقفت عند الكنيسة غير شاعر بالخوف كما كنت أمس  
لكنني ما زلت خائفاً .. تركت كل شيء في السيارة ؛ لأني  
لو مشيت مثل ( بابا نويل ) لبدأت مظاهرة من حولي ..

رحبت بي مس ( دولي ) وأشارت إلى كومة من  
الخضراوات والجلود التي يجب أن تنتزع .. وقتت أساعدها  
حتى ظهر ( مورديخاي ) ، ونحن تلافيت عيننا ابتسم ..

وقفت معه نقدم الطعام على الموائد .. كان صبياً الحساء فنا .. ضع حساء كثيراً وسوف يرمقك الطعام فى كراهية .. ضع خضراً أكثر ، وسرعان ما لن تجد سوى الحساء فى الإناء الكبير .. كان (موردخاى) قد أجاد هذا الفن إلى درجة الكمال .. وكان يوزع الاهتمام ويرحب بالجميع ، فكان البعض يرد التحية والبعض لا يرفع رأسه عن طعامه ..

عند الظهيرة ازدادت صفوف الجياح ، وظهر متطوعون من حيث لا تدري ..

عندما بدأت الصفوف تقل ، ملاً كل منا سلطانية حساء ووقفنا نأكلها فى المطبخ جوار الحوض .. وقال لى موردخاى :

- « المشردون لا يهدعون .. يحبون التنقل من مكان لآخر ولديهم طقوس وروتين وأماكن مفضلة وأصدقاء شوارع .. »

ثم دعانى إلى الخروج فى جولة .. كانت سيارته الـ (توروس) تقف خلف سيارتى (الكساس) .. فقال وهو يشير لها :

- « هذه لن تبقى طويلاً فى هذه البقعة من المدينة .. لو كنت تتوى أن تمضى وقتاً أطول هنا فعليك أن تفكر فى مبادلتها بواحدة أصغر .. »

واتطلقنا فى سيارته .. خلال لحظات أدركت أن (موردخاى) سائق شنيع ، وحاولت أن أربط حزام مقعدى لكنه كان محطماً .. اقتادنى عبر شوارع لم أرها من قبل .. شوارع ضيقة فقيرة قذرة .. كل ركن له قصة .. كل شارع له تاريخ .. يعرف كل متمسك ويعرف كل رجل دين ..

أرأتى مدرسة القانون التى درس فيها وعمل ليلاً .. أرأتى المكان الذى كان باعاً الهيرويين يقفون فيه . ابنه الثالث (كلسيوس) مات هنا على جانب الطريق ..

طلب مني أن أمر معه على مكتبه ليتفقد بريده ، وقال  
وهو يدخل للمكان للربط المعتم :

- « كان عندنا تسعة محامين في الماضي .. كان هذا  
عندما كنا نتلقى منحة الحكومة . اليوم لم نعد نتلقى شيئاً  
بفضل الجمهوريين في الحكومة .. كل عام نفقد محامياً  
بسبب تخفيض الميزانية .. لا اعتقد أننا سنكون موجودين  
بعد خمسة أعوام .. »

كان البرد شديداً فسألته :

- « هل نسيت دفع فاتورة التكلفة ؟ »

- « ربما .. نحن لا نعمل في أيام العطلة ، لأن هذا يوفّر  
المال .. ومن المستحيل أن تبرد أو تكفى هذا المكان . »  
كنت أشعر بأنه يقودني إلى الشرك ، لكنني ظللت  
أسأله عن عمل المحامين في هذه المؤسسات ..  
قال لي :

- « أغلب هؤلاء القوم المشردين لا يعرفون  
حقوقهم ، هنا يكون دور المحامي أن يتصل بموظف

بيروقراطي متكاسل ليوبخه .. يكون لهذا مفعول  
السحر . منذ شهر ذهب أحد عملائنا إلى مركز  
التأمينات الاجتماعية لتقديم طلب .. مجرد عمل  
روتيني .. إنه في الستين من عمره ، وظهره يؤلمه  
بشدة .. هكذا يكون حالك عندما تنام على الصخور  
والأغصان لعشر سنوات .. انتظر ساعتين وفي النهاية  
أدخلوه .. انتظر ساعة أخرى ثم وقف في ظهور حتى  
واجه سكرتيرة سليطة اللسان .. لقد أهانته وانتقدت  
رائحته . وفي النهاية فصرف من دون أن ينجز  
شيئاً .. اتصل بي فاتصلت بهم .. لقد ألقيت عليهم  
موعظة هناك .. على السكرتيرة والمدير ومدير  
المدير .. حتى أرغمت السكرتيرة على الوقوف أمام  
موكلى ، والاعتذار ثم تهت أوراقه .. هكذا تكون  
العدالة .. هذا هو العمل القانوني المختص بالشوارع ..  
كرامة الإنسان .. »

لم يكن يطبق البيروقراطية ، وكانت فكرته عن عمل  
المحاماة هي الصراخ والزمجرة ..

## تسعة

عندما عانت (كلير) عرفت أن أخاها أصيب بداء (هودجكين) "لذا اجتمعت الأسرة فى (بروفى دنس) .. أصغيت لها تحكى عن عطلة نهاية الأسبوع وصدمة الأخبار وكيف بكوا .. إن أسرتها أسرة دموع وأحضان .. وقد اندهشت لأنها لم تطلبنى معها ..

سوف يبدأ العلاج حالاً والأمل كبير ..

سرهما أن تعود للبيت وأن تلقى بحملها على كاهل أحد . كان الأمر شبه رومانسى برغم أننى امتلأت بالندوب حتى لم أعد قادراً أن أكون عاطفياً .. أبديت جزعى بسبب الأخبار ، وقلت عبارات مناسبة ، فلم يكن هذا ما توقعت ولا ما أردت ..

كنت قد أعدت نفسى لمشادة عنيفة ، بعدها تسعد لمواجهة الأمر بشجاعة .. لكنى لم أكن فى مزاج يسمح بأى نوع من العاطفة ..

(\*) نوع من السرطان الليمفوى .

وواصل قصصه التى تنتهى كلها بمحامى الشوارع باعتبارهم الأخيار ، والمشردين هم المنتصرون .. وكنت أقهم أنه يمهد الأرضية لما سيطلبه بعد ذلك ..

\*\*\*



قالت لى إنسى لهدو مرهفًا فكنت أشكرها .. ظللت صامتًا حتى انتهت ثم بدأتنا نتكلم عنى .. أخبرتها بكل شيء عن حياتى كمتطوع فى الملاجئ .

ثار هذا دهشتها .. لم أعد نفس الشخص الذى كنته منذ أسابيع ، ولم تكن متأكدة إن كانت تحب هذا الجديد أكثر من القديم .. أنا نفسى غير متأكد ..

\*\*\*

## عشرة

بما أننى و ( كلير ) مدمننا عمل ، فلم تكن بحاجة لاستعمال منبه لبوقظنا ، خاصة صبيحة الاثنين حينما نواجه أسبوعًا كاملاً من التحديات .. صحنونا فى الخامسة وتناولنا الإفطار ثم انطلقنا فى طريقنا ، وكلانا يرغب فى أن يكون أول من يرحل ..

فى طريقى للمكتب أزمعت أن أضع حاجزًا بينى وبين متشردى الشارع .. سأجد وقتًا للعمل التطوعى وأحافظ على صداقة ( موردخاى ) ، ولربما مررت من وقت لآخر للمساعدة فى إعداد وجبات الجياع .. سوف أكون مفيدًا للفقراء أكثر وأنا فى منصبى .. أكثر بكثير مما أفيدهم لو صرت محامى فقراء آخر ..

إذ قُت سيارتى للمكتب شعرت بأننى بحاجة إلى يوم طوله ٤٨ ساعة كي أتمكن من استعادة جدولى .. لقد تأثر عملى كثيرًا فى الفترة السابقة ، ولا يشب من هذا القطار المسرع إلا أحمق ..

ركبت مصعدًا مختلفًا هذه المرة ، محاولاً أن أنسى ( مستر ) ..

لقد اتجهت لمكتبي قبل السادسة صباحاً .. شاعراً بأن عودتى شيء جميل .. بدأت بتفقد جريدة (وول ستريت) لأنى أعرف أنها لن تتكلم عن سكان الشوارع ..

على مكتبي وجدت مطروفاً من الماتيللا .. الطراز الذى تستعمل شركتى الملايين منه .. ولم يكن عليه أى بيانات الأمر الذى أثار ريبتى ..

فتحت الملف فوجدت ورقة من أوراق شركتنا الرسمية .. وفيها قائمة أسماء الذين تم طردهم من ذلك للمستودع .. وكان الاسم الرابع هو (ديفون هاردى) ..

فى نهاية الورقة كتب مرسل الرسالة المجهول :  
« الطرد كان خطأ قانونياً .. »

كتبها بحروف كبيرة واضح أنه حاول بها ألا يتم تعرفه لو أتتى عرضت الورقة على خبير خطوط ..

أشرفت الشمس وسمعت صوت (بولى) فحبيتها  
كأنه لا توجد مشاكل ..

كان الصباح مزدحمًا بالمؤتمرات والمقابلات ، وقد أتيت عملى بكفاءة برغم أننى لا أذكر حرفاً مما قيل ..  
وقد بدأت الشكوك بصدد حالتى العصبية تتلاشى ..

اتصل بى أبى ليظمنن على .. قال إن السماء تعطر فى (مغفيس) وإنه جالس مع أمى فى البيت قلقين على .. سره أتنى ما زلت فى الشركة ، أصنع الثروة وأبحث عن المزيد ..

اتصل بى أخى (ولتر) من أطلانطا .. كان فارق السن بيننا قد جعلنا متباعدين فى طفولتى ، وكان محامياً مهماً يعمل بالساعة ؛ لذا أدركت أن المحادثة مختصرة ..  
قال لى :

- « سمعت من أبى الأخبار .. أعرف ما تشعر به .. عندما كنا فى مدرسة الحقوق سألونا عن يرغبون منا فى العمل العام فتحمسنا جميعاً .. بعد التخرج بسنتين صرنا جميعاً لا نريد إلا المال .. لكننى جربت العمل العام لأن شركتنا تسمح لك باثنى عشر شهراً بإجازة تمارس فيها ذلك ؛ ثم تعود لتجد كل شيء لم يتغير .. »

يا لك من عبقرى ! هذا هو الحل ! لنا عشر شهراً أصعل فيها ما يحلو لى ، ثم أعود لأجد وظيفتى كما هى ..

- « أنت تعرضت لصدمة كبيرة ، وكنت تقتل .. هذه نقطة مهمة يجب أن تلعب عليها .. قل إنك بحاجة لعام تستجمع فيه نفسك .. بعدها تعود لهذه الشركة .. »

كان شخصية قوية تعرف ما تريد ، ولم يخسر جدالاً قط .. وهكذا ودعته ، ثم تناولت الغداء فى مطعم فاخر مع ( رولف ) وعميل فيما يدعى بـ ( غداء عمل ) .. ومعنى هذا أنه لا خمور ، وأن العميل سيدفع لنا بالساعة لأننا سنناقش قضيتَه أثناء الغداء .. ( رولف ) يقاضى ٤٠٠ دولار فى الساعة أما لنا فالقاضى ٣٠٠ .. استغرق الغداء ساعتين أى إن العميل دفع ١٤٠٠ دولار .. الشركة تدفع ثمن غذائنا لكنها بشكل ما ستضيف الثمن على فاتورة العميل ..

فى الخامسة عصرًا استطعت أن أكون وحيدًا للمرة الأولى ، ففتحت المظروف ..

يتكرر اسم ( تشلس ) أكثر من مرة فى هذه الأوراق .. إنه المحامى الذى طرفنى تقريبًا من مكتبه عندما سألته عن قضية الطرد .. مفتاحى للحل هو الموظف الذى كان يتابع المحادثة ، والذى وصف ( تشلس ) بأنه جحش ..

أجريت بعض مكالمات حتى توصلت إلى أن اسم الموظف هو ( هكتور بالما ) .. قررت أن ألقاه لكن خارج الشركة ..

دعلتى ( مورنخاى ) إلى العشاء معه فى مطعم قريب ، وقد وافقت بعدما أكد لى أن الطعام ليس حساء ..

قال لى :

- « قصة آل ( بيرتون ) تتضخم .. »

- « آسف .. تعرف أننى كنت فى كهف فى الفترة الماضية ، فما هذا الموضوع ؟ »

- « قضية صحفية كبرى .. أربعة أطفال مشردون وأمههم وجدوا ميتين فى سيارة بييتون فيها قرب ( كابيتول هول ) .. هناك حيث يخططون للإصلاحات التى ستقذف أسهات أكثر إلى الشارع .. هذا جميل . لقد اتصلت بمجموعة من الناشطين لحضور جنازة هؤلاء اليوساء .. سوف تصور الصحافة أربعة توابيت صغيرة وتايوتًا كبيرًا للأم .. سيكون هذا رائعًا .. »

- « هذا يعنى أن موتهم لم يمر هباء .. »

بما أننى محام فبئنى أتوقع شيئًا وراء أية دعوة للغداء أو العشاء .. وقد رحبت أساعل عما يريد ..

لكنني فوجئت بعد ذلك عندما عرفت من أسماء الموتى أن الأطفال وأمههم كانوا من هؤلاء الذين طردتهم شركتي من المستودع ، والذين وجدت أسماءهم في المنظروف الغامض .. لا يمكن أن أعلن هذا ؛ لأنني أعرفه بحكم عملي في الشركة .. وهو نتيجة ثقة العميل بنا ..

قال لي (موردخاي) ما كنت أتوقعه :

- « نحن بحاجة لمحام جديد بمضى عشر ساعات في الأسبوع .. نحتاج لمحام يجلب لنا بعض المال لأن المؤسسة تنهار .. يقاؤنا يعتمد على ذلك .. »

- « وما هي جوانب هذه الوظيفة .. ؟ »

- « محاماة الشوارع .. أنت رأيت العمل عندي .. (صوفيا) منتمرة و(أبراهام) جحش .. الزبائن والتحتهم كريمة .. »

- « وهم نذفون ؟ »

- « يمكن أن أعدك بثلاثين ألفاً في العام .. أنت متعلم وسيم تجيد كسب الناس وكل هذا الهراء ؛ لذا أعتقد أنك قادر على جلب بعض المال .. »

كنت أتوقع هذا العرض .. لكنني كنت خائفاً .. لقد فتح لي باباً كنت أخشى أن أجتازة ..

قال لي :

- « أنت لا تفعل هذا من أجل المال على كل حال .. بل تفعله من أجل روحك .. »

روحي هي التي أهبقتني ساهراً طيلة الليل .. هل بوسعني أن أرحل من شركة (دريك وسويني) ؟

في الواقع معني رحيلي أن أقول الوداع للملايين .. كل ما حلمت به سوف يصير ذكريات باهتة ..

ربما كان الوقت مناسباً .. لقد فشل زواجي وحبان الوقت لبعض التغييرات الدرامية على كل الجبهات ..

## أحد عشر

أبلغت الشركة أنني مريض اليوم .. « أعتقد أنها  
الإنفلونزا .. »

لكن ( بولى ) كانت تريد تفاصيل .. حمى أم احتقان  
فى الحلق أم صداع ؟ أم كل ما سبق ؟ لا بهم .. سوف  
تملاً نموذجاً ترسله لـ ( رودلف ) كما هى العادة فى هذه  
الأمور ..

كان ( رودلف مايرز ) قد صار شريكاً فى سن  
الثلاثين .. كانت المحاماة هى كل حياته كما يمكن أن  
تخبرك زوجاته الثلاث السابقات .. ولو استمرت حياته  
كما يخطط لها فلسوف يصير أقدم شريك عامل ..  
وفيما عدا هذا كان كل شىء يتمسه يتحول إلى  
كارثة ..

كان فى انتظاري فى السادسة مساء فى مكتبه ..  
وكان أكثر العاملين قد انصرفوا .. أغلقت الباب ، وجلست  
أمامه ، فقال لى :

- « حسبت أنك مريض .. »

قلت :

- « أنا راحل يا ( رودلف ) .. »

قلتها بشجاعة لكن معدنى كانت تعترض ..

أزاح الكتب جانباً وأعاد غطاء قلعه الثمين ، وقال :

- « أنا مصغ .. »

- « أنا راحل .. لادى عرض بالعمل لدى شركة محاماة

معنية بالثمنون العامة .. »

- « لا تكن غيبياً يا ( مايكل ) .. لسوف تصير شريكاً

خلال ثلاثة أعوام .. »

- « أنا لست غيبياً .. فقط تلقيت عرضاً لا بأس به .. »

- « لا يمكن أن تنهار لمجرد حادث كهذا .. لم يفعل

واحد من الزهائن مثلك »

- « هذا من حسن الحظ .. لكن هذا شأنى الخاص .. »

مع الأعرام تعلمت أنا و (كلير) فن تجاهل بعضنا  
بدلاً من الشجار ..

كثت ساعة العاشرة وكثت قد تناولت عشاءها مبكراً،  
لذا ذهبت إلى المدفأة وأوقدت النار ، ثم جلسنا في مقعدنا  
المفضلين .. بعد دقائق ، قلت لها :

- « يجب أن نتكلم .. »

سألت بلا مبالاة :

- « ماذا هناك ؟ »

- « أفكر في ترك ( دريك وسويني ) .. »

- « حقاً ؟ »

وأعجبت ببرودها .. فأردفت :

- « أنا متاهب لتغيير .. فجأة صار العمل في هذه  
المؤسسات الضخمة مملاً .. أريد عمل شيء يساعد  
الناس .. لقد حكيت لك عن ( مورنخاي جرين ) ..  
الوظيفة عنده ، وسوف أبدأ الاثنين .. »

- « خذ إجازة لشهر .. اعمل مع المشردين لو أردت  
لكن عد .. هذا أسوأ وقت للرحيل »

- « لا أريد أن تكون هناك شبكة أمان تحتى  
يا ( رودلف ) .. هذا يفقد الأمر متعته .. »

- « وماذا عن ( كلير ) ؟ »

لم يكن يعرفها ، وهو على كل حال آخر من يصلح  
مستشار زواج فى الشركة ..

- « ستكون بخير .. أنا راحل الجمعة .. »

أغمض عينه ، وتنفس بعمق .. ثم قال :

- « لا أصدق ما أسمع .. »

اتصلت بـ ( بولوى ) أخبرها ، لأنى لم أرد أن تكون آخر  
من يعلم .. ثم ابتعت بعض الطعام التابلادى ، وعدت  
لشقتى وبدأت أسمع مقاطع دورى الذى سلوديه ..

- « الاتنين ؟ إذن أنت اتخذت قرارك بالفعل دون أن تطلب رأيي .. »

للحظة لمع الغضب في عينيها ثم تلاشى .. كانت سيطرتها على نفسها مذهلة ..

- « هل لي أن أعرف تأثير هذا على دختنا ؟ »

- « سيؤثر .. الراتب ثلاثون ألف دولار في العام »

- « ثلاثون ألفاً ؟ هذا أقل من راتبى أنا .. »

ككل طالب مجنون في البلاد كانت تؤكد عندما دخلت عالم الطب أنها لا تريد المال .. تريد أن تساعد البشرية .. كلنا كذبتنا أو لم نفهم أنفسنا ..

كانت ترمق النار ويبدو أنها تعيد الحسيات .. إيجار الشقة ٢٤٠٠ دولار في الشهر وهي شقة ممتازة فاخرة .. لكننا لا نقيم فيها تقريباً ..

ما زلت مندهشاً من قلة ما أدرناه من مال خلال ست سنوات .. كان المال يبدو بلا نهاية ..

قالت :

- « أنا متعبة .. »

وأفرغت كأسها ، ونهضت إلى غرفة النوم ..

يا لتأثرها ! خطر لي أننا لم نعد نملك قدراً من الضغينة يسمح بمشاجرة طيبة ..

بالتأكيد تحسبني جننت ، لكنها لم تستطع أن تنتقد القديس الذي صرته .. وضعت لوح خشب آخر في الموقد ، ونمت على الأريكة ..

\*\*\*

## اثنا عشر

على الغداء الفاخر الذى دعانى إليه ( رودلف ) قدم لى عرض الشركة السخى ، وهو أن تمنحنى الشركة إجازة لمدة سنة أمارس فيها محاماة الشوارع كما أريد .. مقابل نفس الأجر الذى يمكن أن أتأله من تلك المؤسسة الخيرية .. لأبد لشركتنا من أن تسهم فى إنقاذ الجياح بدورها ، وبعد سنة أعود لها وقد أعدت شحن بطارياتى ..

كان العرض سخياً وبالطبع من العسير أن أرفضه .. لذا طلبت مهلة للتفكير . فى العام الماضى حققت للشركة ٧٥٠ ألف دولار ، لذا يدعوننى للأكل فى هذه القاعة الفاخرة ، وأصغى لخططهم للاحتفاظ بى ..

قابلت ( هكتور ) كاتب المحامى فى المكتبة بالطابق الثالث .. لم أرد أن أقبله مباشرة حتى لا يشعر (تشانس) بشيء .. بعيداً عن كاميرات الأمن وأى شيء آخر ..

سألته بشكل مباشر :

« هل أنت من وضع ذلك الملف على مكتبى ؟ »

لم يكن هناك وقت للألعاب .. نظرت لى وتلفت حوله كأنما هناك فنانة يطاردونته :

« أى ملف ؟ »

« ملف شركة ( ريفر أوكنس ) الخاص بطرد المقيمين فى المستودع .. »

لم يكن يعرف مدى معلومتى فظل ينظر لى فى حيرة ، فسألته :

« أين الملف ؟ »

راح يقلب الكتاب الذى يحمله كأنما هو مشغول جداً ، وقال :

« ( تشانس ) يحتفظ بكل الملفات فى مكتبه .. »

صرنا الآن نتكلم همساً .. بالفعل لو رأنا أحد الآن لغدر أننا بصدد أمر مريب ..

« وما الموجود فى الملف ؟ »

« لدى زوجة وأربعة أطفال ، ولست أبغى أن أطرده .. أنت ستترك الشركة ولا يهملك الأمر .. »



الأنباء تنتقل هنا سريعاً .. ترى من الذى نقل النبأ  
نكل الشركة ؟ هل ( رودلف ) ؟

- « أريد هذا الملف .. »

- « ليس عندي .. لو أردت أن تحصل عليه فعليك  
أن تسرقه .. »

- « جميل .. وكيف أجد المفتاح ؟ »

- « ليس معي .. »

- « إذن من أين جئت بقائمة أسماء المطرودين ؟ »

نظر لى فى عدم فهم ، ثم قال :

- « لا أعرف ما تتكلم عنه .. أنت مخبول تماماً . »

وابتعد .. توقعت أن يتوقف لكنه ابتعد .. ابتعد حتى  
غادر المكتبة ..

\*\*\*

أغلقت الباب ورحت أرمق الغرفة .. أبتسم لكل شيء  
أتركه خلفي ، وفى كل لحظة أشعر بأن الضغط يزول ..  
لن أعمل ثانية والساعة تلفت حول حلقى .. لن أعمل

٨٠ ساعة فى الأسبوع خشية أن يعمل زملاي ٨٥ ..  
لا كوابيس بصدد أن تفوتنى فرصة أن أصير شريكاً ..  
اتصلت بـ ( مورديخاى ) وأخبرته أنني اخترت العمل  
معه ، فضحك وتندر على تدبير طريقة للإتفاق على ..

عندما عدت للدار فى السادسة وجدت ( كلير )  
جالسة إلى منضدة المطبخ ، وأمامها كومة من الأوراق  
وألة حاسبة وأوراق حسابات الكمبيوتر ..

قلت لى فى برود :

- « اقترح الطلاق على أساس الاختلافات غير القابلة  
للتقريب .. نحن لا ننتشجر ولا نلوح بأصابعنا فى وجه  
بعض .. لكننا متلفان على أن زواجنا انتهى »

وانتظرت أن أقول شيئاً .. ماذا عساي أقول بعد هذا ؟  
ما بوسعنى هو أن أكون بارداً مثلها .. قلت لها :

- « بالتأكيد .. »

وإن ضايقتى أنها ترغب فى الطلاق أكثر منى .. لقد  
طلبت رأى محام كذلك لمعرفة مالها وما عليها ..

- « ولماذا تحتاجين إلى رأى محام ؟ هل تعتقنين أنني  
قد أخدعك ؟ »

- « أريد أن أشعر بالحماية .. أنت محام لذا أريد أن يكون معنى محام .. الأمر بسيط .. »

ثم قمت لى الحرز (أ) : بين بممتلكتنا .. والحرز (ب) : طريقة مقترحة لتقسيم هذه الأملاك .. وأدهشنى أنها لم تقسم مناصفة بل اختلفت نفسها بالجانب الأكبر ..

- « هذا التقسيم ليس عادلاً .. »

قالت فى ثقة :

- « وهذا طبيعى .. لأننى لست الشخص الذى يمر بأزمة منتصف العمر .. أنت تريد أن تجن .. هذا حقك .. لكن لا تتوقع منى أن أتصور جوعاً »

تمنيت أن أصرخ وأتساجر ، لكن هذا ليس بوسعى .  
لا أستطيع أن ألقف الأشياء .. ولن نبكى .. أى طلاق هذا ؟ طلاق معقم غريب ..

الحرز ( ح ) : كان قائمة دقيقة لمحتويات البيت ..  
المناشف وأغطية الفراش .. قلت لها :

- « خذى كل شيء تريدينه .. »

كنت أحتفظ بهذه الأشياء ليس للذة الاقتناء بل عن كراهية لفكرة نقلها ..

سوف نوقع وثيقة انفصال .. وبعد ستة أشهر نذهب إلى المحكمة للنهى للزيجة رسمياً ..

أخذت معطفى وخرجت أمشى فى شوارع ( جورج تاون ) .. متساءلاً كيف تغير كل شيء بهذا الشكل الدرامى .. الأمور تتحرك بأسرع مما أستطيع أن أوقفها ..

\*\*\*

## ثلاث عشر

لم تقبل الرعوس الكبرى في الشركة ذلك العرض الذي قدمه ( رودلف ) بمنحى إجازة لمدة عام ، فهي سابقة خطيرة ، وقد خافوا أن تنهال عليهم المطالبات بمعاملة معاملة .

لكن لم يكن هذا الموضوع في ذهني وقتئذ ، فقد صرت مطلقاً ووحيداً وبلا بيت كذلك .. سوف أبيع السيارة لأستغني عن قسطها الذي يبلغ ٤٨٠ دولاراً في لشهر .. وقضيت أكثر الصباح أبحث عن شقة جديدة .. للأسف كانت أرخصها تكلف ١١٠٠ دولار في الشهر ، وهذا سعر أعلى بكثير من قدرات محامي شوارع ..

عندما عدت للشركة ظهراً وجدت مظروفاً آخر من المانيلا على مكتبي .. كان المظروف يحوى مفتاحين ، ومعهما مذكرة تقول : « المفتاح الأول لمكتب ( تشانس ) .. الثاني لخزينة الملفات . الدرج تحت النافذة .. النسخ الملفات ثم أعدها للشركة لأن ( تشانس ) من النوع كثير الربية .. »

هنا ظهرت ( بولي ) فجأة كعادتها .. لا فرعات على الباب ولا صوت ، وإنما تظهر فجأة كشبح .. كانت قد عملت معي أربع سنوات ، ولم تكن علاقتنا لصيقة لهذا الحد .. سرعان ما يتم تعيينها في مكان آخر ..

لم أتر إن كانت لاحظت المظروف أم لا ، لكنها تشاغلنت بوضع حاجيتي في صندوقين من الورق المقوى .. وتساءلت عن الذي وضع المظروف .. كيف استطاع أن يمر لمكتبي أمام سمعها وبصرها ؟

أغفقت الباب ورحت أتأمل المظروف لأقرر ما يجب عمله به .. كنت قد افترضت أشياء : أولاً : أن المفتاح صحيح .. ثانياً : هذا ليس مقبلاً .. ثالثاً : الملف في المكتب فعلاً .. رابعاً : بوسعي سرقة دون أن يقبض علي .. خامساً : يمكن نسخه في وقت قصير .. سادساً : يمكن إعادته .. سابعاً : - والأهم - من الواضح أن فيه دليلاً كارثياً .. كل هذا سهل لكن نسخه هو التحدي الحقيقي .. لا يوجد في شركتنا ملف ثقل صفحاته عن مائة ، ومعنى هذا أن علي أن أقف أمام آلة تصوير المستندات لفترة طويلة معرضاً للاكتشاف .. ثم إن

المحامين لا يصورون وإنما تفعل ذلك السكرتيرات ..  
وآلة التصوير معدة عالية التقنية جاهزة كى تتحضر  
فيها الورقة لحظة ضغط الزر فتكون الفضيحة ، دعك  
من أنها مزودة بعداد يسمح بخروج فاتورة للعميل ..

يجب أن أخرج من الشركة بالملف .. وهذه جريمة ..

على كل حال دخلت قسم العقارات فى الرابعة ، وقد  
شمرت كسى ، ومعى كومة ملفات كان لدى عملاً خطيراً  
هناك .. كان ( تشانس ) هناك وبابه موارب بينما صوته  
يدوى عبر الهاتف .. لم تكن هناك كاميرات أمن تراقب من  
أعلى .. من ذا الذى يفكر فى سرقة شيء من قسم  
العقارات ؟

غادرت فى الخامسة فابتعت شطائر ، واتجهت لمكتبى  
الجديد ..

\*\*\*

شركائى كانوا هناك .. وقد خرج (موردخاى) مرحباً  
ليزبنى مكتبى الجديد .. كان فى نصف حجم هذا الذى  
غادرته ، وهناك خزنة ملفات جوار الجدار .. لم يكن هناك

هاتف .. هناك آلة تصوير مستندات من طراز الثمانيات  
العتيق . نيمت فيها بهرجة آلات شركتى السابقة ..

ناولنى (موردخاى) حلقة بها ثلاثة مفاتيح ، وقال  
لى : إن بوسعى أن أتى متى أردت .. لكن .

- « كن حذراً .. أوقف سيارتك أمام الباب بالضبط ..  
امش لها بسرعة ، ثم أغلق الباب عليك فوراً ! »

لا بد أن الخوف بدا فى عيني ، فقال :

- « سوف تعاد هذا .. كن ذكياً .. »

فى السادسة والنصف عدت لسيارتى .. لم يتحرش  
بى أحد .. لم أتلق رصاصة ولم تخدش سيارتى .. ربما  
كان بوسعى أن أعيش فى هذا العالم ..

\*\*\*

استغرقت إحدى عشرة دقيقة للعودة إلى الشركة ..  
لو افترضنا أن نسخ الملفات يستغرق نصف ساعة ..  
إذن سيظل الملف خارج الخزنة ساعة كاملة ..

فى الثامنة مساء عدت لقسم العقارات متظاهراً بأننى  
مشغول جداً .. لم يكن هناك أحد فى مكتب ( تشانس ) ثم  
تلفتت كل المكاتب وقرعت الأبواب .. بحثت عن الكاميرات ..

فتحت مكتب (تشانس) .. ووقفت في الظلام لا أعرف إن كان يوسعي أن أضئ النور أم لا .. لو مر شخص بالبنية فمن العسير أن يحدد الضوء في أي مكتب .. ثم إن الظلام داس ، وليس معي كشاف ..

أغلقت الباب وأضأت الأكوار .. بحثت بين الملفات حتى وجدت دسنة منها كلها تحمل عنوان (ريفر أوكس) .. (تشانس) وسكرتيرته منظمان ..

بدأت أفتش في ملف غليظ .. أردت أن أتأكد من أنه الملف المطلوب ..

فجأة سمعت صوت رجل يصيح في العمر :

- « هيه ! »

وثبت داخل جلدي .. ثم جاء صوت رجل آخر وبدأت محادثة .. محادثة عن كرة السلة ..

مشيت للباب بقدمين من مطاط وأطفأت النور .. ثم جلست على أريكة (تشانس) لمدة عشر دقائق .. لو رلوني أخرج من الباب والملف ليس معي فلا شيء ضدي .. إن غدا يومي الأخير في الشركة على كل حال ، أما لو رلوني والملف معي فهي نهايتي ..

بدأت الأصوات تخفت ، فأغلقت الدرج وأخذت الملف ..

سبع دقائق .. ثمان .. تسع ..

فتحت الباب ونظرت عبر الردهة .. لا أحد .. مشيت خارجاً من المنطقة ، والملف معي وأنا ألتظاهر بلقي طبيعي ..

- « هيه ! »

سمعت صوتاً من خلفي فاستدرت عبر المنعطف ، وحصلت على لمحة مما يجري خلفي فرأيت رجلاً يحاول اللحاق بي .. وجدت مكتباً مفتوحاً فدخلته على الفور ..

كانت مكتبة صغيرة ، فمشيت بين الأرفف حتى وجدت باباً يقود للناحية الأخرى ..

وجدت مخرجاً ودرجات تهبط لأسفل فرحمت أركض .. بلغت الطابق الأرضي بلا معطف .. الطقس بارد بالخارج لدرجة التجمد .. فركضت إلى السيارة ..

لماذا جريت من ذلك للشخص ؟ هو لم يرني أغادر مكتب ( تشارنس ) .. كان يوسعى أن ألبي نداءه وأثرثر معه .. ولو أرك أن يرى الملف لصرفته مازحًا .. ترى هل عرفنى ؟ لماذا نادانى بهذه الطريقة لو عرفنى ؟ على كل حال قدت سيارتى ..

كان من المستحيل على أن أعرف أن هناك عملية تهريب مخدرات قد ضبطتها الشرطة ، وأن شرطياً أصيب بالرصاص ، وأن سيارة ( جاجوار ) خاصة بتاجر المخدرات تندفع عبر الشارع الثامن عشر ..

كان الضوء الأخضر يسمح لى بالمرور لكن الفتية الذين أصابوا الشرطى لم يباليوا بقواعد المرور ، وفجأة لمحت الجاجوار كأنها طيف ثم انتفخ كيس الهواء اللواقى من الصدمات فى وجهى . حينما استعدت رشدى كان الباب الأيسر يضغط على كتفى ووجهه سود تحدى فى عبر الزجاج المحطم .. سمعت صفارات إنذار ثم غبت عن الوعي ..

فك أحد المسعفين حزام الأمان عني ، وسألنى إن كان يوسعى المشى .

قلت وأنا أجلس على حافة المحفة :

- « أنا بخير .. »

وإذ حملونى لسيرة الإسعاف رأيت ( الجاجوار ) مقلوبة يحيط بها رجال الشرطة والناس .. أخذونى إلى الطوارئ فى مركز ( جورج واشنطن ) ، وحقنونى بالمسكنات .. صحوت فى وقت ما من الليل لأجد ( كلير ) تنام على مقعد جوار الفراش ..

\* \* \*

## أربع عشر

رحلت ( كلير ) قبل الفجر ، وقالت لى مذكورة لطيفة جوار الفراش إن عليها القيام بالمرور الصباحى ، وإنها ستعود فى منتصف النهار .. لقد تكلمت مع الأطباء ومن المحتمل أننى لن أموت .. هكذا ظهرنا أمام الناس زوجين متعاطلين متحابين .. لن يتخيل أحد أننا ننهى إجراءات الطلاق ..

مرحباً بك فى شوراع واشنطن الفقيرة ..

الحقيقة : كان تواجدى فى هذا الركن من المدينة بعد الظلام معناه الانتحار ..

ضلوعى تؤلمنى عند النفس وثراعى زرقاء منتفخة ، ورليت وجهى فى المرأة وقد صارت له ملامح جديدة .. لأشياء خطير .. سيذول كل هذا على نهاية الأسبوع .. جلبت لى المعرضة بعض الأقراص فرفضتها .. لأريد مسكنات لأننى أريد أن أحتفظ بذهن صاف ..

أجريت بعض الاتصالات فعرفت من سكرتيرة فى إدارة المرور أن السيارات المحطمة تنقل إلى أرض

خلاء فى طريق ( راسكو ) فى الشمال الغربى .. هكذا اتصلت بـ ( مورداخى ) لأسأله عن طريقة العثور على سيارة محطمة .. وعظ بأنه سيبحث ويتصل بى ..

عند الظهر جاءت ( كلير ) فتحدثت مع طبيبى الذى سمح لى بالرحيل ، وسرعان ما كتبت توصلتى بسيارتها للبيت حيث أعدت لى حساء طعام ثم تصرفت عائدة لعلها ..

عرفت مكان سيارتى عن طريق ( مورداخى ) فاتجهت إلى هناك بواسطة سيارة أجرة قمت باستئجارها هاتفياً .. عرفت السيارة ( اللكساس ) عندما وقفت خلف السلك الشائك أرمى السيارات المحطمة المكومة فوق بعضها ، لقد أطار التصادم جانبها الأيسر .. قال لى المدايق عندما رأى المشهد :

« أنت رجل محظوظ فعلاً »

لكننا لم نستطع النحول .. كان هناك مكتب لكنه مغلق ، والبوابات مغلقة بجلزير ثقيل .. هكذا طلبت منه الذهاب إلى شركة لتأجير السيارات .

عدت لدارى لتناول آخر وجبة لى مع ( كلير ) باعتبارنا زوجاً وزوجة .. قدمت لى الطعام ثم سألتنى :

- « هل تعرف من يدعى ( هكتور بالما ) ؟ »

ابتلعت الطعام بصعوبة ، ثم سألتها :

- « ما شأنه ؟ »

- « اتصل بك عدة مرات .. من هو ؟ »

- « موظف في الشركة كان على أن أعاونه .. إنه في ورطة »

- « هذا أكيد .. إنه يريد لقاءك في بار يدعى ( ناتان )

في تقاطع شارعى ( إس ) و ( إم ) التاسعة مساء .. »

- « ولماذا بار ؟ »

- « لم يقل .. هل هذا مريب ؟ »

تلاشت شهيتى لكنى واصلت الأكل كى أبدو طبيعياً أمامها ..

\*\*\*

مشيت في شارع ( إم ) من دون سيارتى لأن إيجاد مكان لإيقاف سيارة مستحيل مساء الجمعة ، دعك من حاجتى إلى تحريك عضلاتى ..

لا يمكن أن يعنى هذا اللقاء إلا المتاعب .. فكرت فى أكاذيب أبرر بها تصرفاتى وأكاذيب أبرر بها الأكاذيب .. من الممكن أن يكون ( هكتور ) يحمل أجهزة تنصت الآن .. سوف أصغى ولا أتكلم ..

كان البار نصف خال وقد جنت قبل موعدى بعشر دقائق ، لكنه كان هناك ينتظرنى .. وثب وصافحنى فى حرارة كأنه لم يرنى من قبل .. ودعانى إلى الجلوس ..

- « ماذا حدث لوجهك ؟ »

- « قبّلت كيس هواء .. »

- « نعم .. سمعت عن الحادث .. يبدو أن الآخر قد مات .. تاجر مخدرات هو .. ليس كذلك ؟ »

- « بلى .. »

ولاحظت أنه يتحكم فى المحادثة تحكماً كاملاً وأن ردوده تثنى أسرع من أسئلتى .. جاء الساقى فسألنى عما أرغب فى شربه فطلبت قهوة سادة .. هنا شعرت بقدمه تركز قمنى تحت المنضدة .. وعندما وقف الساقى بيننا ليحجبنا عن الرؤية رأيت ( هكتور ) يرفع سبابته ويشير إلى صدره ..



إن هو يحمل جهاز تنصت وهم يراقبونه كذلك ..  
هذا يفسر تحيته الحارة كأننا لم نلتق قط ..

قال لي :

- « أنا كاتب في قسم العقارات .. لا بد أنك قاينت  
(براند تشانس) محامينا .. لقد التقينا مرة عبارة  
عندما زرت مكتبه منذ أسبوع .. »

- « هذا صحيح .. »

بما أنني مراقب فمن الخير ألا أتكلم إلا بمقدار .. ثم  
أضفت :

- « في الحقيقة لأكر الموقف لكن لا لأكر وجهك .. »

غمزت وجهه ابتسامة خفيفة ولمست قدمه قدمي ..  
نحن نرقص على اللحن ذاته ..

- « سبب لقائنا هو أن هناك ملفاً فقد من مكتب  
(تشانس) .. »

- « وهل أنا المتهم ؟ »

- « لا .. لكنهم يشبهون بك .. إنه نفس الملف الذي  
طلبتَه من (تشانس) وكنت تتشاجر بسببه .. الشركة  
تحقق مع كل شخص يمكن أن يخطر ببالها .. »

- « إن لا علاقة لي بالأمر ، فلا يمكن أن أسرق  
ملفاً من زميل »

- « هل تقبل أن تخضع لجهاز كشف الكذب ؟ »

طبعاً .. قلتها وأنا أعرف أنه لا توجد قوة على  
الأرض ترغمني على الخضوع لجهاز كشف الكذب ..

- « هم كذلك يأخذون البصمات .. »

لم يخطر لي هذا .. بصماتي على مفتاح النور  
والخزانة و .. كل شيء .. على كل حال قررت أن أكون  
عنيفاً ، لذا قلت :

- « لا أحب طريقتك .. لو كنت تتهمني بشيء فلتفعل ..

أذهب إلى رجال الشرطة وأخبرهم بكل شيء .. هذه

جريمة سرقة .. إن من واجبك أن تقبض على السارق .. »

قال :

- « هناك كذلك ملف وجدناه في مكتبك .. ثمة شخص

قال لك إنه أرسل لك مفاتيح لخزانة (تشانس) ! »

كانت آثارى تتسع .. لقد تدربت كى أكون محامياً  
لألصاً .. ويبدو أن الموضوع أعقد مما تصورت .. لقد  
وصلتني الرسالة على كل حال .. الشبوكة تريد الملف ..  
بما فيه .. وهى تعرف يقيناً أنني من أخذه ..

نهضت معلناً نيتى فى الانصراف فسألتنى :

- « متى تجتاز اختبار كشف الكذب ؟ »

- « سوف أتصل بك »

\*\*\*

### خمس عشر

عن طريق علاقات (موردخاى) وشرطى يدعى  
(بولى) تمكنت أخيراً من الوصول إلى سيارتى فى تلك  
الساحة التى لفقوها فيها .. دخلت إلى الحطام وبحثت  
عن الملف .. لم أجده للحظة مرعبة ، ثم مدت يدي  
تحت المقعد الأمامى فوجدته .. وضعته تحت إبطى كأنه  
من ذهب ..

قل لى شرطى لذى بحرس السيارات المحطمة ، قل :

- « تعال معى .. »

وفى الداخل دون مواصفات المظروف والمكتوب عليه  
بدقة .. لديه الآن كل ما يثبت أنني أخذت مظروفاً بهذه  
المواصفات من حطام سيارتى .. آثارى تزداد اتساعاً ..  
لم يكن (موردخاى) يعرف عن الملف إلا أنه مهم ..  
كنت متلهفاً على تصفح الملف لكنى قاومت ذلك حتى  
أصير وحدى فى شقتى الجديدة ..

\*\*\*

كانت شركة ( ريفر أوكس ) تباع كل العقارات الرخيصة فى المنطقة المتهاككة من المدينة .. وكانت شركة TAG شركة مربية غير مسجلة بشكل قانوني ، يديرها من يدعى ( تلهان جنترى ) الذى يصفه الملف بأنه فواد سابق قبض عليه مرتين من قبل .. أمثاله كثيرون فى هذه المدينة .. بعد اعتزاله الجريمة قرر أن يتاجر فى العقارات والسيارات المستعملة . بدأ يبتاع العقارات المهجورة ويؤجرها .. الملفات تظهر أربعة عشر عقاراً ملك هذا الرجل ..

هنا يلتقى طريق الرجل بشركة ( ريفر أوكس ) حينما احتاجت هيئة البريد لمساحات إضافية .. وقد أسندت مهمة للحصول على أرض إلى شركة ( ريفر أوكس ) .. وهناك عقد مرفق بمليون دولار ونصف مضمونة الدفع سنوياً لمدة ٢٠ عاماً .. بشرط توقيع العقد النهائى قبل ١ مارس وإلا اعتبر الاتفاق ملغياً ..

على الفور انطلقت شركة ( ريفر أوكس ) للعمل .. ابتاعت أربع ملكيات فى المنطقة قرب المستودع الذى يعيش فيه أولئك اللاجئون . لقد اقترب الأول من مارس فلم يعد باقياً إلا أسبوع ..

الآن أفهم لماذا اكتشف ( تشاتس ) اختفاء الملف بهذه السرعة .. لقد كان يتعامل معه يوماً بيوم ..

اشترت TAG المستودع فى يوليو الماضى بمبلغ غير مذكور فى الأوراق .. ثم اشترته منها شركة ( ريفر أوكس ) بمئتى ألف دولار قبل تنفيذ حكم الطرد بأربعة أيام ..

كنت قد فرشت الأوراق على الأرض ورحت أدرس كل ورقة ، وأقوم بتدوين ما فيها فى مذكرة صغيرة توظنة لإعادتها إلى موضعها الدقيق من الملف .. كل شيء مرتب ومفهرس بدقة كما علمونا فى الشركة .. حيث كل وثيقة لا يمكن العثور عليها فى ثلاثين ثانية لا قيمة لها ..

بمساعدة رجل شرطة ( فتوات ) من شركة خاصة توجه ( هكتور بالما ) إلى المستودع لإخلائه ممن فيه .. كان هذا يحتاج إلى شجاعة غير عادية ، وكما كتب ( هكتور ) : « كنت الأم تنام على الأرض مع أطفالها الأربعة ومنهم رضيع .. قتلت رجل الشرطة وفى النهاية استطعنا إخراجها .. »

كانت قائمة المطرودين حوالي سبعة عشر باستثناء الأطفال .. نفس القائمة التي وضعها ذلك المجهول على مكتبي .. لم تكن هناك إخطارات بطرد ؛ لأن الشركة اعتبرت هؤلاء متسللين أو مقيمين بوضع اليد ، وواضعو اليد لاحقوق لهم ..

هذا الملف مسروق .. وللسارق أحمق لأن الأثمة ضده تتكوم في هذه اللحظة .. لقد أخذوا بصماتي عندما التحقت بالشركة ولن يكون صعباً مضاهاتها بالبصمات في خزنة (تشانس) .. بل أنا أعرف أن هذا تم ..

تري هل حصلوا على أمر باعتقالي ؟

\*\*\*

## ستة عشر

لم يكن مكتبي الجديد يشبه في شيء مكتبي في شركة ( سويني ) .. المكتب نفسه عبارة عن منضدة صغيرة بالتأكيد ابتاعوها من مدرسة قديمة .. لها ثلاثة أدراج لكنها تفتح بصعوبة .. المقعد من الطراز الذي يستأجرونه للحلقات ، ولا يمت بصلة لمقعدى القديم الجلدى الدوار المريح .. جدران الغرفة بحاجة إلى طلاء ، والتدفئة سيئة جداً ..

دوت دقة على الباب أثارت هلعي ، فتساءلت عما إذا كانت عصابات الشارع قد لاحقتني إلى هنا .. نظرت عبر الزجاج المصنفر للباب فرأيت ملامح مألوفة .. إنه ( بارى نوتسو ) صديقى القديم .. كان يرتجف ويتوق للدخول إلى الأمان بالداخل ..

فتحت له الباب ، فدخل وهو يصيح :

- « يا له من وكر ! »

يبدو أن الأمر بدا له مسلياً .. نزع قفازيه ومشى إلى حيث أريكة ( صوفيا ) .. قلت له :

« نحن نبقى مصاريقنا منخفضة كي نأخذ معنا كل المال للبيت . »

قال وهو مستمتع بكل هذا :

« أنت جنت بلا شك .. هل بدأت تسمع أصواتاً ؟ »

« هل جنت هنا كي تقول لى هذا الكلام ؟ »

« لقد اتصلت بـ ( كلير ) وكلمتسى عن الطلاق ..

ثم ماذا حدث لوجهك ؟ »

قاطعته سائلاً إن كان يرغب فى قهوة .. وددت ألا يصحبنى إلى المطبخ لأن هذا مشهد لا يجب أن يراه .. وجدت قدحاً فغسلته وملأته بالقهوة وبسرعة عدت له .. كان يتفحص الحجرة ثم قال لى :

« هل هذا ما كنت تحلم به فى مدرسة القاتون ؟ »

وفجأة انتهى المزاح .. نظر لى فى جدية ويرغم قسوة الفكرة فإبنى تساءلت عما إذا كان يحمل جهلًا تنصت هو الآخر .. بوسعهم هذا وهو لن يتطوع لهذه المهمة لكنهم قادرون على إجباره .. لقد صرت العدو الآن ..

« هناك ملف مهم مفقود يا ( مايكل ) والجميع يشير نحوك .. »

« هل أرسلتك الشركة ؟ »

« طبعاً لا .. »

صدقته .. فنحن صديقان منذ سبع سنوات برغم أننا كنا أكثر انشغالاً من أن نمارس الصداقة فعلاً ..

واصل الكلام :

« الملف يتعلق بـ ( مستر ) .. أنت قابلت ( ثلاثس ) وطلبت الملف .. ثم شوهدت تتسكع قرب مكتبه .. بصماتك فى كل مكان فى الغرفة والخزانة .. أنت أخذت الملف يا ( مايكل ) .. »

« ماذا تعرفه عن هذا الملف ؟ »

« لا أعرف شيئاً إلا أنه يتعلق بـ ( مستر ) وأنت أخذته .. كلاب الشركة الكبرى تبحث عنك ، وقد حرموا علينا الاتصال بك .. أنا هنا يرغم أوامرهم .. »

« لن أشئ بك على كل حال . »

- « اسمع يا (مايكل) .. أنا متأكد من أن كل شيء يمكن إصلاحه .. أعد الملف وسوف أقابل مديري الشركة وأجعلهم يصفحون فيمنسون .. ثم آخذ إجازة معك لمدة أسبوعين نلعب فيهما التنس ونعود كأن شيئاً لم يكن . »

- « هل أنت متأكد من أنهم لم يسلوك لتقول لى هذا ؟ »

- « لا وأقسم على هذا .. »

- « إن هذه الفكرة لا تصلح .. هناك فارق بين أن تكون محامياً وأن تكون بائعاً هوى تتقاضى أجرها بالساعة .. لقد دخلنا هذه المهنة لأننا حسبنا القانون قيمة عظمى .. يمكنك محاربة فساد المجتمع كله بالفتون .. كنا مثاليين وقتها .. فلماذا لا نعود كما كنا ؟ »

- « أفساط للمسكن ! »

- « لم أطلب بتجديدك معنى .. من حسن الحظ أننى بلا أطفال .. لى لترف أن أكون بطلاً بعض الوقت .. »

راح ينظر إلى جهاز التدفئة وهو يسأل أن يبعث بعض الحرارة ، ثم قال :

- « لا يمكنك الاحتفاظ بهذا الملف يا (مايكل) .. بهم مجاين كالجحيم .. من حق العسيل أن يبقى ملفه فى السر ويعامل بسرية تامة ، ومعنى هذا أنهم سيقاضونك .. »

- « لى للشركة ما تخسره أكثر منى .. إن هذا الملف خطر عليهم »

نظر لى فى دهشة فهو فعلاً لا يعرف محتوى الملف ، ثم قال :

- « حتى لو كان هذا صحيحاً فليس بوسعك استعمال ملف مسروق فى المحكمة .. ربما تستطيع أن ترتب لك لقاء فى غرفة موصدة مع ( آرثر ) .. نوعاً من الهدنة .. »

- « فات وقت ذلك .. هناك أناس تجمدوا من البرد فى الطرقات .. »

ثم قررت تغيير موضوع الحديث فدعوته إلى جولة فى المكتب ..

وعندما افترقنا بعد قليل طلب منى أن أتصل به من حين لآخر ، فأكدت له ذلك ..

## سبع عشر

فى الصباح ذهبت مع (موردخاى) إلى الملجأ المدعو (بيت السامري) ، حيث قابلت طوفانيا من المشردين الذين يريدون رأسى للقانونى .. أغلبيهم قال أسفا إنه لا يستطيع أن يدفع لى .. معظم القضايا تتعلق بتوقف الإعانات الحكومية أو بونات التغذية أو موظفة تركت العمل وأرسلت لها شركتها شيكاً لم يصلها لأنها بلا عنوان .. رجل أذمنت زوجته المخدرات فاحترفت البغاء وفلاته إلى الإفلاس .. قصص جعلتني أود تقبيل قدم (كثير) الآن ..

ثم تصور هذا لكم من العمل باعتبارى محامى شوارع ، وكنت قد ارتديت ثيابا غير مهذمة وكففت عن حلق لحيتى معارفاً لـ (موردخاى) .. أنا الآن محامى شوارع فلا يهم مظهرى .. ومن حسن حظى أنى اعتدت إدمان العمل لذا لم يشكك لى هذا الكم الكبير من القضايا مشكلة ..

عند الظهر عدت إلى مكتب (موردخاى) - وجدت لى (صوفيا) جهاز هاتف يعمل .. كان تحت كومة من

الملفات ، ففقت بتوصيله وكان أول ما فعلته أن اتصلت بشركة (سوينى) طالبا الاتصال بـ (هكتور بالما) .. أيقنتى السكرتيرة أنتظر على السماعه ، ثم جاء صوت خشن يقول :

- « أنا (برايدن تشانس) .. هل لى أن أساعدك ؟ »

غيرت صوتى بسرعة وتمالكنت نفسى وقلت :

- « أنا صديق قديم لـ (هكتور بالما) من أيام المدرسة .. هل لى أن أكلمه ؟ »

قال فى بساطة :

- « (هكتور بالما) لم يعد يعمل هنا »

وضعت السماعه ورأسى يدور .. فكرت أن اتصل بـ (بونى) سكرتيرتى السابقة لأأكد من صحة هذا الخبر .. ربما لو طلبت (بارى) أو (رونلف) .. ثم تذكرت أن هؤلاء جميعاً لم يعودوا أصفاً .. لقد رحلت .. لقد صرت لعدو ..

لم أعتقد أن الشركة غيبه بحيث تفصل (الما) .. أعتقد أنها نقلته إلى فرع آخر بعيد براتب أعلى .. هكذا تضمن صمته وتخلص منه فى الوقت ذاته ..

ثم أكن متلهفاً على العودة لدارى الجديدة بعد انتهاء العمل .. غرفة نوم بلا فراش .. مطبخ بلا ثلاجة .. تلفزيون بلا كابل .. إن المقولة القديمة التى تقول إن القاتون حبيبة غيور صادقةً معى جداً .. فلم يعد القانون إلا كل ما أمكته فى الحياة ..

انصرفت ( صوفيا ) مبكراً كعادتها لأنها تعيش فى منطقة خطيرة وهى تفضل أن تغلق الأبواب عليها ليلاً .. وقد نصحنى (مورديخاي) بالألا أتأخر .. أوقف السيارة قريباً .. يجب أن تكون اثنين عند الانصراف .. امش بسرعة .. راقب كل شىء ..

- « نحن سعداء بوجودك .. كنا بحاجة إلى رجل أبيض wasp هنا .. »

- « إننى لى الشرف أن أكون رمزاً .. »

\*\*\*

انتظر رجال الشرطة حتى الواحدة صباحاً ثم هجموا كرجال الكوماندوز ، ونقوا الباب بعنف .. ولم تجد (كلير) وقتاً لاستجماع أفكارها .. وضعت شيئاً على منامتها بينما هم يوشكون على تهشيم الباب ..

- « شرطة !! »

فتحت الباب وتراجعت فى ذعر بينما اقتحمه أربعة رجال ، اثنان منهم بالزى الرسمى .. وكانوا يتصرفون كأن حياة إسمان فى خطر .. وصاح بها أحدهم :

- « تراجعى ! »

وكانت عاجزة عن الكلام .. قال قائدهم الملازم (جاسكو) وهو يخرج أوراقاً من جيبه :

- « هل أنت (كلير بروك) ؟ »

وهو يمثل (كولومبو) بطريق سينة .. فهزت رأسها أن نعم ..

- « أين (مايكل بروك) ؟ »

- « لم يعد يعيش هنا .. »

كان من المستحيل أن يصدق الرجل هذا ؛ لذا أخرج ورقة وقال :

- « معى إننى تفتيش من القاضى (كيزنر) استخرجه الساعة الخامسة بعد الظهر .. »



ورفع الأوراق لتراها ، كأنها يمكن أن تستوعب ما فيها فى ساعة كهذه ..

- « عم تبحثون ؟ »

- « هذا فى الأوراق .. »

واتدفع الرجال بفتشون الشقة ..

كنت نائما على الأرض فى شقتى فى ذلك الوقت .. منذ جئت هذه الشقة أكل قليلاً واتام أقل .. لكنى أحمد الله على أننى على الأقل أملك جدراناً وسقفًا وتدفئة ومهنة وأعرف أننى سأجد طعام غد .. هذا يختلف عن البؤساء الذين أعمال لهم .

دق جرس الهاتف المحمول فرفعته لأسمع (كلير) تقول همساً :

- « (مايكل) رجال الشرطة يفتشون الدار . »

- « ماذا ؟ »

- « معهم إنن تفتيش .. ويقولون إنهم يبحثون عن ملف .. »

- « سأكون عندك خلال عشر دقائق .. »

هكذا اندفعت إلى الشقة كئى تحت الاستحواذ ، وكان (جاسكو) أول من قابلت .. فصحت :

- « أنا (مايكل بروك) .. من أتم بحق الجحيم ؟ أريد أن أرى أوراقكم .. »

أخرج الشارة من جيبه ورفعها لأمكن من رؤيتها .. قلت فى تحد :

- « (لارى جاسكو) .. أنت أول من سأرفع عليه قضية فى العاشرة صباح غد .. من معك ؟ »

قالت (كلير) :

- « معه ثلاثة وهم فى غرفة النوم الآن .. »

دخلت غرفة النوم لأجد شرطياً على أربع ينظر تحت الفراش فصحت فيه :

- « أرنى أوراقك أيها الأحمق .. »

أخرج شارته فنظرت فيها ، وقلت :

- « (داريل كلارك) .. المتهم الثانى .. »

قال فى برود :

- « ليس بوسعك مقاضاتى .. »

« جربنى أيها اللصيب الكبير .. سوف أطلب منك تعويضاً فى المحكمة بمليون دولار للتفتيش غير القانونى ، وسوف أكسبها .. عندها سأجعلك تشهر إفلاسك .. »

وطلبت من ( كلير ) أن تحضر كليرا الفيديو لتصوير المشهد ، ثم قلت لهم :

« سوف تحاكمون وتطردون من الخدمة ، غالباً بلا معاش .. التفتيش غير قانونى .. ومن أعطاكم الإذن سيحاكم .. هى أخبرتكم أننى لا أعيش هنا وبرغم هذا واصلتم التفتيش .. عند هذه النقطة صار ما تقومون به غير قانونى .. كان عليكم التوقف لكنكم لم تفعلوا لذة العيب بالممتلكات الشخصية للآخرين .. »

تظاهروا باللامبالاة ، لكنهم كانوا خائفين .. أنا محام فلا بد أننى أعرف ما أتكلم عنه .. لم أكن كذلك لكنى بدوت مقلعاً .. كنت أمشى فوق جليد قانونى رفيع للغاية ..

سألنى ( جاسكو ) :

« أين الملف ؟ »

« الملف ليس هنا لأنى لا أعيش هنا ولهذا سوف

أقاضىكم .. والآن لم لا تتصرفون ؟ »

« طيلة الوقت يقاضوننا فلا مشكلة هناك »

وكانت ( كلير ) تصورهم فلم يجسروا على قول ما هو أكثر .. وسرعان ما كانوا يتجهون إلى الباب .. وغمغم أحدهم بصوت خفيض بعبارات سياب ضد المحامين الذين يتدخلون فى كل شىء ..

وقفت أفرا إن التفتيش بينما ( كلير ) ترشف القهوة وقد استعدت برودها .. لن تظهر أمامى بمظهر الضعف أبداً ، وأبداً لن تظهر لى أنها بحاجة إلى ..

« هل ستقاضىهم فعلاً ؟ »

« لا .. لكنهم لن يعودوا ثانية .. »

« وما موضوع هذا الملف ؟ »

« قصة طويلة هى .. »

كنت أعرف أنها غير مهتمة .. فقط تريد الاطمئنان إلى أنهم لن يعودوا .. سألتها :

- « هل أخيرتهم بمكان إقامتي ؟ »

- « أنا لا أعرف مكان إقامتك ! »

وانصرفت بلا كلمة أخرى أو أية لمسة توحى بالاهتمام .. وكان هذا ما تريده بالضبط ..

\*\*\*

## ثمانى عشر

فى الصباح أخبرت (موردخاى) بالقصة كلها ..  
موضوع الملف وكل هذه التفاصيل التى يسمعاها لأول  
مرة .. تمنى أن يصفنى بالجشش لكن علاقتى به لم  
تبلغ هذا الحد ..

قلت له إننى لم أجد حتى هذه اللحظة السبب الذى  
يجعل الملف مهماً لهذه الدرجة .. لكننى كنت نظرية  
معقولة هى أن شركتى السابقة طردت هؤلاء المشردين  
من المستودع برغم أنهم يدفعون إيجاراً قدره مئة دولار  
فى الشهر .. كانوا مستأجرين نهم كافة حقوق المستأجر  
القانونية ، لكنها عاملتهم كواضعى يد .. والسبب هو أنه  
لا وقت للإجراءات القانونية لأن الصفقة توشك على  
الضياع من ( ريفر أوكس ) .. هناك ورقة معينة تثبت  
أن ( تشتس ) عرف أن هؤلاء القوم مستأجرون وليسوا  
متسللين للعقر ، لكنه أخفاها .. ولم يضعها فى الملف ..  
السبب : هو حاجة الشركة الماسة إلى الاستيلاء على  
المستودع قبل فوات الأوان .

قال (موردخاى) :

« الملك السابق للعقار - ذلك البلطجى - يعطى أمكن لهؤلاء البؤساء ويأخذ منهم إيجاراً ، لكنه لا يبلغ الحكومة بشيء عنهم كى لا يلتزم بشيء .. هكذا تعاملهم الحكومة كمتسولين .. هذا يحدث طيلة الوقت .. »

كان من رأيه أن علينا الآن أن نضع خطة محكمة .. لو استطعنا أن نجر ( ريفر أوكس ) وشركتى السابقة للمحكمة ، لكانت المحاكمة صاحبة ، وسوف تعيد اهتمام الإعلام بالمشردين ..

عندما صرت وحدى اتصلت بصديقى (بارى نوتسو) وطلبت منه أن يقابلنى عند تقاطع شارعى (ك) و(كونكتيكات) ..

« سأكون عندك بعد ساعة .. »

« بل الآن أو اتس الأمر .. »

لم أزد أن أمنح هؤلاء الصبية وقتاً لرسم خطة .. لا أريد منحهم وقتاً لدس أجهزة تنصت كذلك ..

« أنا فى مقهى (بنجلر) .. سأنتظرك .. وتعال وحدك .. »

« أنت تشاهد الكثير من الأفلام مؤخراً .. »

بعد عشر دقائق كنا نجلس فى ذلك المقهى الصغير للمزدحم ، نحسسى القهوة الساخنة ونراقب زحام المرور .. سألته :

« لماذا طلب التفتيش ؟ »

« إنه مغلنا ونحن نريد استرجاعه .. هذا بسيط ..

لين تعيش الآن ؟ »

ضحكت ساخراً بما معناه ( ما هذا الزكاء ؟ ) .. ثم قلت :

« أمر الاعتقال يصدر بعد أمر التفتيش .. هل هذا

هو السيناريو المتوقع ؟ »

قال :

« اسمع يا (مايكل) .. فلتبدأ من منطلق لك مخطئ ..

أنت أخذت شيئاً ليس لك وهذه سرقة .. الأمر بسيط كما ترى .. أنا صديقك لكنى ما زلت أعمل لدى الشركة فلا تتوقع أن أساعدك .. أنت من وضعنا فى هذا الموقف لا أنا .. هذه ليست نعبة يا (مايكل) ومن الممكن أن تؤذى

نفسك .. »

- « (تشمس) أيضاً قد يُؤذى .. هذا الملف مثبت  
أنه ارتكب خطأ مهيناً جسيماً .. ما أطلبه هو هدنة  
لفترة بلا أوامر باعتقالى أو تفتيشى .. »

- « وماذا تقدم فى المقابل ؟ »

- « ألا أضايق الشركة بمحتوى الملف .. »

ابتلع باقى القهوة ، وقال :

- « لست مؤهلاً لإجراء صفقات .. أستطيع فقط أن  
أثقل رسالتك هذه .. أنت تتوهم أن الشركة تريد الكلام  
معك .. بالعكس .. هم غاضبون جداً ولا يريدون أى  
تعامل معك »

قلت وأنا أغانر المقهى :

- « هدنة لمدة أسبوع .. »

\*\*\*

كانت المرأة الشابة جالسة جوار باب الشركة عندما  
وصلت هناك صبيحة الأربعاء .. الحرارة فى درجة  
التجمد .. ما إن رأتنى حتى وثبتت وهتفت :

- « مرحباً .. هل أنت محام ؟ »

- « نعم .. »

- « لمن هم مثلى ؟ »

- « بالتأكيد »

وفتحت الباب وسمحت لها بالدخول .. أعددت قهوة  
ووجدت بعض ( الدونات ) فى المطبخ فقدمته لها ..

- « ما اسمك ؟ »

- « (روى) »

- « وأين تعيشين يا (روى) ؟ »

- « هنا وهناك »

كانت تلبس ثياباً رخيصة .. بين الثلاثين والأربعين  
مخبولة نوعاً ونحيلة جداً ..

- « كنت أعيش فى مأوى ثم طردت .. وجدت

لنفسى سيارة .. »

- « هل عندك سيارة ؟ »

« لا أقودها .. أنا في المقعد الخلفى .. »

قدمت لها القهوة ودعوته إلى المكتب .. جلست منحنية على كوب القهوة كأنه آخر شيء دافئ تلمسه في حياتها .. ثم بدأت تقول :

« إنه ابني .. ( تيرانس ) .. إنه في السادسة عشر .. لقد أخذوه مني .. رجال المنجأ .. »

منذ أعوام كان ( تيرانس ) في العاشرة ، وكنا يعيشان في شقة صغيرة .. قبض عليها تباع المخدرات وسجنت أربعة أشهر .. ذهب ( تيرانس ) ليعيش مع أختها .. ثم خرجت من السجن ليعيشا في الشارع ويناموا في السيارات .. بشكل ما استطاعت أن تتيقنه في المدرسة .. باعت المخدرات وباعت جسدها .. فطقت كل شيء لتتيقنه شعبان وفي ثياب معقولة وفي المدرسة .. في لحظة يأس ذهبت لأسرة عملت عندها منذ زمن .. آل ( رولاند ) .. قالت إنها ستدفع خمسين دولاراً في الشهر لو سمحنا لـ ( تيرانس ) بالحياة عندهما .. وافق الزوجان بعد تردد وسمحا لها بزيارته ساعة مساء كل يوم .. كنا أنا وأبنا طيبين .. صار ابنها نظيفاً سليم الجسد وسرها هذا .. إلى أن تم اعتقالها بتهمة اللدعة هذه المرة ..

عندما خرجت كانت حاملاً .. عندما أنجبته أخذت للحكومة الرضيع لأن أمه مدمنة مخدرات .. ثم وجدت أن آل ( رولاند ) ضدها .. ( تيرانس ) ضدها .. ثم جاءها رجل يحمل أوراقاً وقال إن المدينة هي التي ستتولى أمر ( تيرانس ) .. سوف يتبناه آل ( رولاند ) فقد قضى معهما ثلاث سنوات ..

كانت تبكى .. تريد أن أراه فقد افتقدته جداً ..

أستطيع أن أتصور ( تيرانس ) بصحة جيدة دافئاً يتناول الإفطار على المائدة ويسمع دروس الإسبانية .. بينما عميلتي شبه مجنونة تعيش في الجحيم .. وعلى أن أسعى لجمعهما من جديد ..

قلت لها :

« لن ترى ( تيرانس ) إلى أن تشفى من تأثير المخدرات .. يجب أن تذهبي إلى مصحة .. »

شد ما أجهل كل شيء عن المخدرات ! من أين تحصل عليها ؟ كم جرعة ؟ كم من الوقت تحتاج إلى أن تشفى من عادة قاتلة كهذه ؟

هنا سمعت ( صوفيا ) تصرخ في الخارج ..

خرجت لأرى ما هناك ، فوجدت الملازم ( جاسكو ) قد عاد .. هذه المرة كان معه خمسة رجال شرطة .. كان ( مورديخاي ) هناك ، وهو رجل لا يستطيع أن يخفض صوته أو يكف عن الضوضاء .. وسمعه يقول :

- « ماذا بحق الجحيم ؟ »

نظر لى ( جاسكو ) ، وقال فى سخرية :

- « لم ترفع علينا قضية كما هددت .. وكل هذا الكلام الكبير .. نحن هنا لتفتيش .. هات الشيء الذى عندك وسوف ننهي هذا الإزعاج »

قلت :

- « للملف ليس هنا .. أنت تضيع وقتك »

- « لكن من واجبنا أن نضيعه »

طلبت من ( روبى ) أن ترحل ، واختليت بـ ( مورديخاي ) فى مكتبه .. كنت محرجاً لأننى تسببت فى مجيء الشرطة إلى هنا .. فسألنى :

- « هل معك نسخة من هذا الملف ؟ لم لا تعطيهم الأصل ؟ »

- « لا أستطيع .. هذا اعتراف منى بالسرقة .. ثم إنهم يعرفون يقيناً أننى نسخته .. »

كان الجو يزداد ثوبراً بالخارج .. ( صوفيا ) تصرخ فى رجال الشرطة ، و( جاسكو ) يصرخ فيها .. الأمر يتجاوز الكلمات ليقرب جداً من حدود الاعتداء الجسدى .. رجال الشرطة فى حيرة لأن تفتيش مكتب محاماة يختلف عن تفتيش بار مليء بالسكارى ..

قال ( مورديخاي ) لرجال الشرطة :

- « لتتفق .. أولاً : سوف تبحثون عن ملفكم لكننا لن نفتح أى ملف لأن هذا تعد على أسرار العملاء .. »

وافق ( جاسكو ) فأخذتهم إلى مكتبى ورحلت أخرج ملفاً تلو آخر من الدرج ، وأضعه تحت أنف ( جاسكو ) .. فى هذه اللحظة توجه ( مورديخاي ) للهاتف وأجرى مكالمة ثم قال لـ ( جاسكو ) بلهجة انتصار :

- « مكالمة لك .. هذا هو القاضى الذى أعطاك إذن التفتيش .. »

تناول (جاسكو) السماعرة في تردد كان صاحبها  
مجنون .. وأصغى قليلاً ثم طلب من رجاله إنهاء التفتيش ..  
تباطأ الرجال في المغادرة .. لكنهم رحلوا في النهاية ..  
واعترضت لـ (موردخاي) و(صوفيا) عن كل هذه  
الغوضى ، ثم اعتكفت في مكتبتي ..

\*\*\*

## تسع عشر

قهوة من جديد مع (روبي) .. كانت بانتظارى عند  
الباب وعجبت لأنها منتعشة بهذا الشكل .. كيف يكون  
المرء منتعشاً بعد نوم عدة ساعات فى المقعد الخلفى  
لسيارة مهجورة ؟

- « هل ما زال عندك بعض الدونات ؟ »

- « سارى ذلك .. »

لقد صارت عادة .. ودخلت المطبخ فأعدت القهوة ،  
ونم أجد سوى بعض الدونات الذى صار صلباً لكن لم  
يكن هناك غيره . كتبت فكر نفسى بشراء بعضه لو جاءت  
(روبي) غداً .. وكنت أعرف أنها ستفعل ..

سألته :

- « هل عملت دماغ (ليلة أمس) ؟ »

واندهشت لأننى أسأل هذه الأسئلة وبهذه اللغة .  
لكنها هزت رأسها ، وقالت :

- « نعم .. كل ليلة أفعل ذلك .. »



لم يكن في نيتي أن ألومها ، فلما لم أفعل بعد أي شيء يساعدها ..

أخذتها بسيارتى إلى مركز (ناعومي) للنساء ، وهي بناية من أربعة طوابق في الشارع العاشر .. يفتحونه في السابعة صباحاً ويقدم الحمامات والطعام والثياب للنسوة اللاتي لا بيت لهن .. عرفت أن (روبي) ممن يترددن على المركز ، وقد رحبت بها صديقتها هناك .

تكلت مع المديرية ، وهي شابة جذابة نحيلة تدعى (ميجان) .. يجب أن تتخلص (روبي) من المخدرات قبل أي شيء .. نصف النسوة هناك مختلات عقلياً وأكثرهن مدمنات .. ثلث الموجودات مصابات بالإيدز ، لكن (روبي) على قدر علم المديرية لم تكن مصابة بمرض معد ..

وعندما رحلت كانت النسوة محتشدات في المدخل يغنين بصوت عال ..

\*\*\*

قرعت باب آل (بالمنا) الذي عرفته من دليل الهاتف ، فجاء صوت امرأة يسأل عنن بالباب .. كنت قد سمعت خطتي عدة مرات طيلة الطريق إلى (بتيسدا) لكن لم أقتنع بأننى أستطيع أن أكون مقتناً ..

قلت :

- « جئت أبحث عن (هكتور بالمنا) .. »

- « لم تريده ؟ »

- « أنا مدين له ببعض المال ، لذا جئت أردده له »

لو أنني كنت أخذ المال لصار الجيران عدواتيين بالطبيعة .. هذه حيلة لا بأس بها .. لكن المرأة قالت :

- « لقد رحل من هنا . »

- « أعرف أنه رحل .. لكن هل تعرفين إلى أين ؟ »

- « لا .. »

بدأ لي أن الإجابة هي (نعم) لكنها كانت قد غابت في ضلال شقتها وأوصدت الباب .. قرعت الجرس مرتين لكن لا إجابة .. درت حول البناية وقرعت جرسنا

في الجهة الأخرى ، ففتح لي الباب رجل في عمرى لوث ( المليونير ) جالبي فمه وسألني عما أريد .. إنها الثامنة والظلام قد هبط ، وأنا أضايقه في وقت العشاء .. كررت قصة ( بوب ستيفنس ) .. لكنه قال إنه لا يعرفه ..

- « وهل زوجتك تعرف زوجته ؟ »

- « لا .. »

استررت مبتعداً لأقابل رجل أمن يحمل هراوة ، وينق بها على راحة يده كما يفعل رجال الشرطة في السينما .. سألني عما أريد ، فقلت له :

- « أبحث عن شخص ما .. وأبعد هذا الشيء عنى .. »

- « تلقينا شكوى من الجيران بأن هناك متمسلاً في المنطقة .. يجب أن تبعد .. »

هكذا تركته ورحلت ..

ثم أكن متحمساً للعودة إلى شقتي الجديدة .. إن اسمي على أجهزة الكمبيوتر في مكان ما ، ولن يتأخر

رجال الشرطة إلى أن وجدوا بيتي الجديد .. أعرف أنهم سينفذون غارتهم ليلاً ليستمتعوا بإفراغى . بقودوننى كاتنى في طابور الموت مكبلاً بالأصفاد إلى سيارة الدورية .. ثم يقتادوننى إلى المخفر حيث أكون الأبيض الوحيد هناك .. أتيقاً مفرقاً .. لن يجدوا ما هو أفضل من إقتلى في زنزانة مليئة بالبطجينة الزوج ليروا كيف تدافع عن نفسى . لهذا كنت أحمل شينين .. هاتفاً خلويّاً اتصل به بـ ( موربخاى ) فور اعتقالي . ومالتي دولار لدفع كفالة .. ربما أنجح في الخروج بدلاً من المبيت في الحجز ..

عدت إلى المكتب وطلبت من ( صوفيا ) أن تساعدنى في العثور على ( هكتور بالما ) .. إنه هسبائى مثلها وعلى الأرجح سوف تعرف كيف تجده .. تركتها تجرى مكالماتها فحكت تبدأ المكالمة بالإنجليزية ثم تنتقل إلى الإسبانية التى تشبه الشجار .. تركتها لمدة ساعة ثم إذا بها تفرع بابى لتقول :

- « لقد رحل .. إنه في شيكاغو .. هل تريد أن أبحث

عن العنوان ؟ »

نظرت لها فى ذهول وقتت :

- « ولكن كيف استطعت أن .. ؟ »

- « لا تسأل .. صديق يعرف صديقاً فى كنيستهم ..  
إته هسباني إذن هو كاثوليكي على الأرجح .. هل تريد  
العنوان ؟ أستطيع أن أقودك إلى الطريق لكن الأمر لن  
يكون سهلاً »

لقد بحثت لمدة ساعة ثم وجدت العنوان ، فوفرت  
على سماجة رجال الأمن والدق على الأبواب طيلة الليل  
فى البرد ..

إن فرع الشركة فى شيكاغو يقع فى ناطحة سحاب  
بها مصاعد ونافورات وأماكن للتسوق .. لقد ذهبت  
هناك مرتين ..

إته المكان الأمثل لإخفاء ( هكتور بالما ) ..

\*\*\*

## عشرون

لدى المشردين إحساس غير عادى برجال الشرطة ،  
وقد شعر تلك الرجل بوجود سيارة الشرطة المتخفية  
قرب مكتبنا وأخبر ( صوفيا ) بذلك .. أخبرت بدورها  
( موردخاى ) .. ثم أدر لنا يثىء من ذلك لأنى كنت  
منهمكاً فى محادثة على الهاتف ..

لما التهيت قالت لى ( صوفيا ) :

- « هناك سيارة شرطة بالخارج .. على الأرجح جاعوا  
للظفر بك .. »

وقال ( موردخاى ) :

- « لابد أنهم حصلوا على أمر اعتقال .. »

تظاهرت بالثبات وبأننى غير مهتم .. كانت المشكلة  
هى أن هذه ليلة الجمعة ومعنى هذا أنه لا مفر من  
قضاء ليلتى فى الحجز .. الفتى الأبيض الأنيق مع  
الحثالة بالداخل .. حتى لو اتصل ( موردخاى ) بالتقاضى  
الذى أصدر الحكم فإن بيالى أحد بمشكلتى .. هناك ماننا  
محم يعقلون كل ليلة ..

فى شقة (كلير) عندما واجهت (جاسكو) كنت أنا المحامى طلق اللسان قوى الحجة .. بقذف التهديدات ويطرح الأسئلة فى وجه (جاسكو) للشرطى المدعور . لم أتصور قط أنه سيأتى يوم يعتقلنى فيه هذا الرجل .. لقد دخل المكتب منتصراً حاملاً أوراقه التى ينوى أن يرميها فى وجهى ، وقال لـ (صوفيا) :

« أريد مستر (بروكس) .. »

خرجت من مكاتبى باسمًا ، وقلت :

« مرحبًا (جاسكو) .. أما زلت تبحث عن ذلك الملف ؟ »

« ليس اليوم ! »

سأله (مورداى) فى خشونة :

« أنا محاميه .. فهل معك إذن باعتقاله ؟ »

« نعم .. »

مشيت نحوه قائلاً :

« هيا بنا .. »

أخرج أحد مساعديه زوجًا من الأصفاد وكبل نراعى لظهري بالمعدن البارد .. كان القيد ضيقًا أو على الأقل أضيق مما توقعت .. قال (مورداى) :

« سوف أحضر موكلى بنفسى لمركز الشرطة .. »

« لا .. نحن سنوفر عليك هذه المشقة »

« إذن سأتبعكم .. »

وخرجنا إلى الردهة حيث كان ثلاثة من عملائنا ينتظرون ، فراحوا ينظرون لى فى ذهول .. كنت أتوق إلى الاختباء فى السيارة بسرعة .. هكذا عصت فى المقعد الخلفى إلى جوار (جاسكو) وأنا لا أرى ما أمامى ..

قال (جاسكو) :

« يا لمضيعة الوقت ! هناك مائة جريمة قتل وألف تاجر مخدرات وحوادث اعتداء فى كل ناحية ، لكن علينا أن نضيع وقتنا معك »

« إذن أطلق سراحي .. »

- « لو كان الأمر بيدي لفعلت . لكن المدعى العام يتلقى ضغطاً .. »

هذا مفهوم .. الشركة لا تتوى تضییع وقتها مع رجال الشرطة ، وإنما تدخل في مناقشة قانونية مع المدعى العام لإقناعه بالقضية .. لا يهم .. ( مارتن لوثر كنج ) دخل السجن .. أناس مهمون مشاهير دخلوا السجن وكبلوا بالأصفاد .. هناك قاض ينفذ حكماً بالتشغيل شاقة مؤبدة في ( ممقيس ) .. ممثلون وأبطال رياضة قبض عليهم وهم يهربون الكوكابين أو يخالفون المرور ..

ثمة نوع من الراحة في هذا .. لقد تم الأمر أخيراً .. لا مزيد من الفرار والنظر خلفي .. لا مزيد من القلق .. لكني برغم هذا خائف .. قد يتأخر دفع الكفالة إلى الأحد أو الاثنين .. ربما أوضع في زنزانة مع ناس قنرين .. حاولت الاسترخاء وهو ما وجدته مستحيلًا وأنا جالس على يدي ..

كنت تائها أثناء القيادي ، و ( جاسكو ) يقتادني ككلب ضال .. لا تنتظر لهؤلاء الناس .. عملية جرد متاعك .. البصمات .. التصوير .. الليل يزحف والجريمة تتزايد وسوف يكون الحجز مزدحمًا ..

في النهاية اقتلني ( جاسكو ) إلى ممر طويل وقضبان .. ثم باب حديدي يتغلق خلفي ..

كان زملاء الزنزانة كلهم من السود الأصغر سنًا .. عددت أربعة .. الخامس كان راقداً .. كلهم ينظر لى وأنا أبحث عن مكان أجلس فيه بحيث لا ألمس أيًا منهم .. ولاحظت أن الباب عبارة عن قضبان مما جعل من في الزنزانة المقابلة يروننا بوضوح .. لم يكن هذا هو الوقت المناسب كي تكون أبيض ..

نهض شاب ومشى نحوي ووقف جوارى ثم ركل قدمي ، وقال :

- « جاكيت جميل ! »

هذه هي النهاية إذن .. لذا قلت :

- « شكرًا »

محاولاً ألا أبدو ساخرًا أو مستغزًا . إنه رشيق قوى البنية .. يبدو أنه قضى حياته كلها في شجار الشوارع ، وهو يحاول أن يستعرض شجاعته أمام رفاقه .. لن يظهر بفريسة أكثر سهولة مني مهما حاول ..

- « لم ألبس (جاكيت) أتياً كهذا في حياتي »

قال أحد الرجال :

- « الجدة يقول إنك تلبس (جاكيت) جميلاً .. »

- « وأنا قلت له شكراً .. هل يريد أن يقترضه ؟ ماذا يريد أن يفعل ؟ »

- « لو أهديته له لكان هذا أنسب .. »

الآن اكتملت دائرة الحصار من حولي ؛ لذا نزعته الجاكيت وناولته لهم ..

- « هل هي هدية ؟ »

- « هي ما شئت .. »

كانت ركلة عنيفة تلك التي ضربت رأسي فجعلته يصطدم بالجدار خلفي ، ومن جديد عاد السؤال :

- « هل هي هدية ؟ »

- « نعم .. »

- « شكراً يا رجل .. »

بعد دقائق ظهر آخر ووقف يراقبني .. خفضت عيني فلم أر إلا قدميه العاريتين .. ثم قال :

- « حذاء جميل .. »

من دون كلمة مددت يدي ونزعت الحذاء .. ماذا عن الليل إذن ؟ كيف سننام وليس هنا إلا فراشان ؟ ماذا عن استعمال المراحيض وشرب الماء ؟ ماذا عن قميصي وثيابي الداخلية ؟

في هذه اللحظة لفتني (مورنخاي) الذي أنهى إجراءات الكفالة بسرعة .. كفالتي كانت عشرة آلاف دولار دفعت منها ألفاً ووقعت الأوراق .. وفي الخارج كانت (صوفيا) بانتظاري ..

- « أين حذاؤك ؟ »

- « أعطيتهم هدية لأحد المساجين ! »

عاد أحد الحراس لي يستقرتي وحذاني ، وسرعان ما كنا نغادر هذا المكان الرهيب ..

## واحد وعشرون

فى الصباح كانت صورتى تحتل كل الصحف مع قصة مؤثرة عن المحامى الذى خان الأمانة وسرق ملفاً من الشركة لثى تربته .. أعتقد أن الجميع يحفظ وجهى الآن .

لم تستطع (روبى) التخلص من المخدرات برغم إقامتها فى ملجأ (ناعومى) ؛ لذا تفققت ذهنى عن فكرة لابس بها .. أخذتها بسيارتى إلى (موتيل) فى بلدة صغيرة مجاورة للمدينة ونفخت إيجارها وثمان طعمها ، ثم تركتها هناك .. كانت هذه خطئى التى رببتها مع (ميجان) .. تلك المديرية الفاتنة لملجأ (ناعومى) .

حتى لو أرادت (روبى) فمن المستحيل أن تحصل على مخدرات فى هذا المكان .. وتصلت بها لأطمئن عليها فوجدتها لم تغادر غرفتها . بل ظلت تشاهد لتلفزيون وتكلم بلا تقطاع ..

بعد أربع وعشرين ساعة ذهبت لأخذها فوجدتها ترتدى ثياباً جديدة وقد استحمت .. كانت غرفتها فى الطابق السفلى فخرجت راكضة نحوى واحتضنتنى صائحة :

- « لنا نظيفة ! لم لمس المخدرات منذ أربع وعشرين ساعة ! »

عدت بها بسيارتى إلى ملجأ (ميجان) .. هناك عقدوا لها احتفالاً صغيراً .. قالت لى (ميجان) إن أول أربع وعشرين ساعة هى الأصعب وهى التى تستحق التهنة .. وجلست مع (ميجان) فى الحديقة نشرب القهوة ونخطط ما بعد ذلك .. يجب على (روبى) أن تحضر كذلك جلسات لـ (٨٨) التى تساعد المدمنين .. لكن (ميجان) لم تكن متفائلة ، لأن تجار المخدرات فى كل مكان ولن تلبث (روبى) أن تعود للشوارع والتعاطى من جديد .. هذا يحدث كل يوم ..

كلت المشكلة هى أنى ذاهب إلى شيكاغو للبحث عن (هكتور بلما) .. هكذا تفقنا على أن نأخذها (ميجان) إلى موتيل آخر على حسابى وستردها صباح الاثنين .. بعدها نخطط ما يجب عمله .. ربما أخذناها إلى مركز تأهيل تمضى فيه ستة أشهر من العمل والرقابة الطبية ..

دعتنى (ميجان) إلى تناول الغداء فى مكتبها .. كانت عيناها برقصان كأنما تطلبان منى أن أوافق .. وقد وافقت ..

يسافر المحامون في (دريك وسويني) بالدرجة الأولى شاعرين بأنهم يستحقون هذا ، ويقومون في فنادق ذات أربعة نجوم .. إن العملاء يدفعون كل هذه النفقات ..

لكن مقعدى في الطائرة تم حجزه في آخر لحظة .. أغلقت عيني لمدة ساعتين وحاولت ألا أفكر في المؤخرات الفخورة للجالسة في الدرجة الأولى حيث كنت أجلس في الماضى .. كان سفرى هذا خرقاً لقانون الكفالة الذى يحتم أننى لا أغادر البلدة من دون إذن القاضي ، لكن (مورخاى) أكد أن هذا غير خطير .

لا يوجد لدى أى عنوان لـ (بالما) .. ولو لم أجده في شركة (دريك وسويني) هنا فهذا حظى السيئ .

فرع (دريك وسويني) فى شيكاغو يعمل به ١٠٦ محامين .. قسم العقارات يعمل به ١٨ محامياً ..

ابتعت جريدة أخفى بها وجهى ورحت أراقب مدخل المصاعد .. كانت السابعة والتصف صباحاً أى إن هذا وقت وصول الموظفين ..

فى الثلثة والثلاث دخل (هكتور بالما) البلية .. مسرعاً يهرع إلى المصعد .. إنه هو .. بالفعل كما توقعت نقلته

الشركة إلى هنا فى منتصف الليل كى تتمكن من رشوته ومراقبته وتهديده ..

ركبت المصعد فى التاسعة وصعدت إلى حيث قسم العقارات .. وقيل أن تبادرنى موظفة الاستقبال بالسؤال عن أريد وضعت يدي على فمى ، وسألته عن الحمام لآسى أشعر بالغبثان وموشك على الفرى .. هكذا لم تستطع إلا أن تشير لى إلى الحمام . وعندما غادرته كنت قد صرت داخل قسم العقارات فعلاً ..

وجدت مكتب (هكتور بالما) على الفور ، فدخلت وأغلقت خلفى .. ما إن رأنى حتى رفع كفيه كأنه يواجه مسدساً ، وهتف :

- « ماذا بحق الجحيم ؟ »

- « مرحباً (هكتور) .. كيف حال شيكاغو ؟ »

- « ماذا تفعل هنا ؟ »

- « يمكن أن أوجه لك ذات سؤال .. نحن سوف نرفع دعوى قضائية اليوم ضد شركة (ريفر أوكس) لصالح هؤلاء الذين طردوا من المستودع وهم مستأجرون قتلونا ..



أنت كنت تعرف هذا عندما نفذت أمر الإخلاء .. هل تذكر تلك الأم التي قاومت رجال الشرطة ؟ لقد وجدوها ميتة متجمدة مع أطفالها في سيرة في الشارع بعد ذلك .. هناك مذكرة كانت في الملف تثبت هذا وقد تم لتزاعها .. الملف عندي لكنى أريد المذكرة .. لو أعطيتنى المذكرة فنن أطلبك للشهادة .. وأنت تعرف أن الشهادة سوف تغرق شركة ( دريك وسوينى ) وبالتالي لا بد من طردك .. ما سأفعله أنا هو أن أستعمل المذكرة من دون إقحامك فى الموضوع . لن أذكر مصائرى .. »

« ومن قال لك إن المذكرة عندي ؟ »

« أنا واثق من أنك نسختها لتدافع بها عن نفسك إذا ادلهمت الأمور .. أنت لأنكى من ألا تفعل .. »

أعرف يقيناً أن ( هكتور ) لن يكذب لأنه من وضع على مكتبى أسماء المطرودين والمفتاحين .. أعرف هذا .. إن لديه روحاً وضميراً ..

« إنهم سوف يطردوننى .. هل تعرف هذا ؟ »

« على الأرجح سيفعلون .. لكن ستكون لدينا قضية ممتازة ترفعها عليهم .. أنا سأقوم بذلك ولن أتقاضى منك مليماً .. »

فكر قليلاً ، ثم قال :

« قبلنى عند الظهر أمام نافورة الماء أمام للبنية .. »

\*\*\*

من النافورة توجهنا إلى ( جراند فينيو ) حيث مطعم بيوفيه مفتوح .. ونحن فى تطبور نولونى مطروفاً ، وقال :

« لدى أربعة أطفال .. من فضلك احمنى .. »

وقبل أن أتكلم كان قد غادر المطعم .. ياقة معطفه تغطى لذنيه وهو يوشك على الركض فاراً تقريباً ..

ركبت سيارة أجرة وفتحت المظروف .. هنا حيث لا يعرف مخلوق بمكلى يمكننى أن أدرس المذكرة جيداً .. كنت هناك مذكرة من ( بالما ) موجهة لـ ( تشارلس ) تقول إنه ذهب إلى المستودع يوم ٢٧ يناير ، ومع حارس مسلح اسمه ( جيف ماكل ) من شركة أمن ( روك كريك ) .. ذهب هناك فى التاسعة والنصف وغادر بعد ثلاث ساعات ..

في الطريق لثالث وجد حوالي ١١ شقة من خشب بألوان من بلاستيك .. سمع بكاء طفل ففتح أحد الأبواب لتفتح له امرأة تحمل رضيعاً ومعهما ثلاثة أطفال .. أخبرها إنه جاء ليخلى القيد لأنها بيعت لشركة البريد لكنها أصرت على أنها استأجرت الشقة ممن يدعى (جونى) يأتي يوم ١٥ من كل شهر لياخذ الإيجار .. لا أوراق .. كل تعاملها مع (جونى) هذا .. لكنها عرضت ورقة متسخة عليها إيصال استلام المبلغ ..

هذه الورقة قام (هكتور) بنسخها وأحفظها بالمذكرة .. ثم يكن يملك الحق في الاعتراض أو المناقشة ، لكنه أعطى رؤسائه حبلاً طويلاً ليشنقوا به أنفسهم ..

قامت بإرسال فاكس بالمذكرة لـ (موردخاي) في حالة ما إذا تم اعتقالى أو سرق منى هذا المظروف ..

\*\*\*

## اثنان وعشرون

عندما قابلت (موردخاي) كان يحمل لى مظرفاً رسمياً أعرف بالضبط ما فيه .. لقد كان من ثلاث صفحات أعدها أصدقائى الأعمام فى (ديك وسويتى) لكن يمكن تلخيصها فى فقرة واحدة :

أنا التوند الشرير الذى سرق ملفاً من الشركة .. يجب إما أن : (١) : أُنظف من سجل المهنة بشكل دق أو (٢) : أوقف عن عمل المحاماة عدة أعوام أو (٣) : أؤنب علناً ..

استندت إلى جدار شاعراً بالدولار .. الشركة تريد الدم .. هذا واضح .. شركة كبيرة تعمل مثل مثيلاتها بسياسة : (لا أسرى) .. لكنهم لا يعرفون أننى سأقاضيهم غذا وأطالبهم بعشرة ملايين بسبب الإضرار بـ (أل بيوتون) الذين طردتهم فماتوا فى الشارع .. لقد استطاع (موردخاي) ترتيب القضية عن طريق تعيين من تدعى (ويلما فيلان) - وهى ناشطة فى المجتمع المدنى - لتكون قيمة للمطالبة بالحق المدنى ، بما أن الأسرة لا أقرب لها ولا أحد يعرف أبا الأطفال الأربعة إن كان لهم أب واحد .. بالطبع سوف

تتقاضى عشرة بالمائة من التعويض، وهو مبلغ مضحك  
فقد جرت العادة على ٤٠٪ لكننا لم تكن نبغى الربح ..

\*\*\*

مررت على الموتيل الذى تقيم فيه ( روبي ) لأننى لم  
أعد أستطيع مواصلة الإنفاق عليها بمعدل أربعين دولاراً  
كل ليلة .. قرعت الباب عدة مرات فلم يرد أحد .. نزلت  
للاستقبال فعرفت أن أحداً لم يرها تغادر .. هذا غريب ..

صعد معى موظف الاستقبال الذى لم يسعده أن نستخدم  
فندقه الجميل كمصحة للإجلاء عن المخدرات .. قرع الباب  
مراراً ثم فتح الباب فلم نجد أحداً ..

لين عساها قد ذهبت ؟ إن المخدرات مقططيس يشدها  
للشارع كل مرة ..

اتصلت بـ ( ميجان ) أخبرها بهذا ثم عدت لمكتبى ..  
لست قلقاً عليها .. إنها قلادة على الحياة فى الشارع أكثر  
منى .. عندى على كل حال أمور أهم هى القضية التى  
تنوى رفعها .. لو لم تطرد شركة ( ريفر أوكس ) تلك الأم  
وأطفالها الأربعة لما عاشوا فى الشارع، وبالتالى لما متوا

برداً .. هذا منطوق واضح سهل ولا بد أن يجده المحلفون  
كذلك .. لئى بلأ وأطفالها فى الشارع وسيكون عليك تحمل  
التبعات لو حدث لهم مكروه ..

المشكلة هى الملف .. سوف تطلب منى الشركة  
تقديم الملف للقاضي ، وسوف أفعل وهذا فى حد ذاته  
اعتراف بالجريمة .. قد أفقد مهنتى ..

كانت خطة ( موردهاى ) هى تجاهل القضية تماماً  
لحمائتى .. يمكن أن يعقد صلحاً مع ( دريك وسوينى ) ..  
يتنازلون عن سرقة الملف مقابل الملف ذاته وعدم  
الإساءة لاسمهم .. إن شركة ( دريك وسوينى ) شركة  
عظيمة الكبرياء تعتمد على سمعتها الحسنة .. أعرف  
عقدة المحامين الكبار هذه .. إنهم يشعرون فى قرارة  
أفْسهم بالذنب لأنهم يحصلون على كل هذه المكاسب ..  
من ثم يكرهون أى شىء يظهرهم قساة أو أشراراً أمام  
المجتمع .. لكنى كنت مصراً على المضى قدماً ..

أنهينا إجراءات القاضى ، وكان بانتظارنا صحفى هو  
صديق ( أبراهام ) أعطيناه تقريراً وافياً عن موضوع

القضية .. هذه القضية ستروق للجميع وسوف يحاول الجميع للخلاص من المسؤولية عن طريق إلقائها على كاهل مجموعة من المحامين الأثرياء ..

لنا أفهم مزاج شركتى السابقة وأعرف كيف اجتمعوا على نشر قصة القبض على ، وكيف أهدوا صورتي للصحافة لمزيد من الإهانة لى .. الآن أفعل الشيء ذاته لأنى أفهمهم وأعرف كيف يفكرون ..

سوف تصدر صحف الغد وفيها صورة مديري شركتنا بطريقة مهينة .. وسوف توجه لهم الاتهامات علنا .. أستطيع أن أتخيل الشركة وقد سادها الوجوم والصمت ، فلا بد أن دار مناسبات الموتى أكثر مرحاً من هذا ..

لقد قرروا الهجوم على أوردة عنقى .. دعهم يتعذبون قليلاً إنن ..

\* \* \*

## ثلاث وعشرون

خرجت مع (ميجان) مديرة الملجأ فى نزهة بالسيارة .. لم نتوقع قط أن نقابل (روبى) ، لكنها كتبت فرصة كى نعضى بعض الوقت معاً ..

قالت لى :

- « لقد رأيت كل شيء مع الممننين .. لا يمكن أن تتوقع أبداً سلوكهم .. فقط عندما يظفر أحدهم بعصل ومسكن نحمد الله ثم ننتظر المدمن التالي .. إن الوديان أكثر من الجبال فى هذه الحياة .. »

- « ألا تشعرين بالقتوط ؟ »

- « أتعلم الأمل من زبقتى .. أكثرهن شخصيات قوية . جان الحياة وحيدات بلا لية فرصة ، لكنهن يستطعن الحياة .. يتعثرن طيلة الوقت لكن يستمررن فى المحاولة .. »

دردنا فى المنطقة وتفحصنا بعض السيارات المحطمة ، ثم إننى أعدتها إلى الملجأ .. لقد صارت (روبى) عذراً طيباً يجعلنى أرى (ميجان) باستمرار ..

\* \* \*

كانت التاسعة وعشرين دقيقة عندما وصلت مع محامى إلى بنايه (كارل مولستري) مركز القضايا المدنية والجنائية في وسط البلد .. لم أكن هناك قط لكن (مورداى) كان يعرف الطريق ..

داخل المكان كان حديقة حيوان .. هناك ردهة مليئة بناس قلقين وقاعات محكمة في كل مكان .. في الغرفة ١١٤ بالطابق الأول كان المحترم (نورمان كزير) للقاضي .. وكان اسمى في أول (الروول) . دخلنا فجلست في الصف الثاني وكانت القاعة خالية ..

سمعت من خلفى من يقول :

« مرحباً يا (مايكل) .. »

نظرت للخلف فوجدت زميلى القديم (رافتر) .. كلن ومن معه يمثلون الضحية من ثم كان لهم الحق فى التواجد فى كل مراحل تقديمي للمحاكمة ! لكن لماذا جاء (رافتر) ؟ إنه الأكثر شراسة ونقاءة من كل زملائى ، ووجوده لايد أن يسبب لى الذعر ..

نادانى (مورداى) لغرفة القاضي فلحقته به ، حيث صالحت القاضي ودعانا للجلوس .. كان القاضي (كزير)

فى السبعين على أقل تقدير .. لحية شائبة وعينان بنيتان تحرقتك عندما يتكلم .. وكان يعرف محامى منذ أعوام .. قال لى :

« أعرف شركتك منذ زمن .. شركة ممتازة لديها محامون ممتازون ، وهم يدربونهم جيداً .. »

كنت أشعر بعدم راحة لكونه يطرى ضحايا لهذا الحد ..

« هذه قضية غير معتادة إلى درجة مذهشة .. لكن لتفترض أنك أخذت هذا الملف ولتفترض أنك رددته لى .. عندها يمكن أن نقيم ثمنه بمائتى دولار وننهي الأمر كجثة .. »

« وماذا لو لم أرده ؟ أتحدث للعلم فقط .. »

« عندئذ تزداد قيمته بالنسبة لنا ، وسوف تكون محاكمة بتهمة السطو .. لو استطاع المدعى إقناع المحققين فسوف يصير من واجبنى أن أحكم عليك .. ولو صدر حكم سوف تلغى رخصة محاماتك .. »

وزدادت تجاعيد جبهته مما جعلنى أدرك أن حكمه على شىء يجدر بى أن أتأشاه ..

منحنا أسبوعين لاتخاذ قرار وهكذا غادرنا غرفته  
لنجلس فى قاعة المحكمة من جديد ..

فى سيارة (موردخاى) ونحن عائدان سألته :

- «والآن أيها المستشار ما رأيك ؟»

- «ما زال أمامنا أسبوعان .. دعنا لا نتعجل الأمور

ونفكر بحرص»

فور عودتنا للمكتب ، اتصلت بشركة (ديك وسوينى)  
طالبًا الكلام مع (تشانس) .. بالطبع اتصلت اسمًا  
مستعارًا .. لكن السكرتيرة قالت لى إنه فى إجازة ..  
إجازة لا تعرف متى يعود منها ..

كنت أعرف شركتى جيدًا .. إجازة لا تعرف موعد  
العودة منها يعنى ببساطة أنهم طردوك .. هذا ما حدث  
إذن .. لقد تصرف (تشانس) على مسئوليتيه وقام  
بإخلاء المستودع ممن فيه ، وهو يعرف يقينًا أنهم  
مستأجرون .. لم يخبر الشركة بهذا .. وعندما اتضح  
الأمر وجد أنه عاجز عن تفسير موقفه .. لقد جلب  
الوبال على الشركة وسبب لها مشكلة وفضيحة مع

عملاتها . لو أنه اتخذ الإجراءات القانونية لأعطى  
المستأجرين إذارًا لمدة شهر ، ومعنى مرور شهر  
ضياح الصفقة من شركة (ريفر أوكس) .. لكن هذا  
فى الوقت ذاته كان يعنى رحيل الشتاء القاسى .. كانت  
للشوارع ستكون أكثر رفقًا بهؤلاء اليوساء ..

يمكننى أن أتخيل القيادات الكبرى فى الشركة ترضى  
وتزيد ، وتجتمع لتقرر إعطاء (تشانس) إجازة  
مفتوحة .. ربما منحوه مكافأة لا بأس بها لكنهم  
تخلصوا منه على كل حال ..

\*\*\*

كان عضو الكونجرس جمهوريًا من (إنديانا) يدعى  
(بيركهولدر) .. وكان يحب الرقص ليلا حول (كليبوتول  
هول) .. تم إطلاق النار عليه يوم الأربعاء أثناء ركضه  
وحيدًا .. كان يلعب كرة تكريب بلا جيوب ، فكان جليًا أنه  
لا يحمل شيئًا ثمينًا .. يبدو أن السرقة لم تكن هدفًا ..

اخترقت الطلقة ذراعه وكنتفه وتوقفت قبل العنق  
بقليل .. وقد وصف أحد الشهود المعتدى بأنه زلجى  
أسود من الطراز المتشرد .. نجا عضو الكونجرس بعد

جراحة استغرقت ساعتين ، وكثرت هذه أول مرة منذ ربح من الزمن يطلق فيها الرصاص على عضو كونجرس .. بعضهم تعرض لاعتداء وكان هذا يتيح له الكلام عن الجريمة وتدنى معدلات الأمن ، وبالطبع إلقاء التهمة على الحزب الآخر ..

هكذا خرج رجال الشرطة بنظفون شوارع واشنطن من كل شخص بلا بيت .. كل المتسولين تم اعتقالهم ..

في اليوم التالي خرج عضو الكونجرس ليووجه الصحافة في مشهد مسرحي تم إخراجه جيداً .. كان على مقعد متحرك وأربطة الشاش تحيط بعنقه ، ثم أعلن أنه بخير .. فقط بدأ يتكلم عن الجريمة في واشنطن .. سوف يكرس حياته من هذه اللحظة لاستعادة الأمن في الشوارع ..

هكذا سقط عبء مروع على كاهل رجال الشرطة ، الذين واصلوا حملات الاعتقال ليلاً .. مع إلقاء المشردين في المسجون أو نقلهم كالماشية إلى أماكن أخرى ..

\* \* \*

## أربع وعشرون

ظهرت ( روبي ) ثقية أمام مكتبي صباح الاثنين ، بشبهة مفتوحة للقهوة والكعك .. بدا لي أنها منتعشة وأنه لا أثر للمخدرات على وجهها .. اقتدتها للدخل ..

- « كيف حالك وأين كنت تعيشين ؟ »

- « في سيارتي .. »

- « نعم .. يسرني أن ألتقيك .. سوف أوصلك

إلى ملجأ ( ناعومي ) »

كنت أعني أن أسألها عن إقامتها في الموتيل وسر رحيلها عنه ، لكنني رأيت أن أجاهل هذا أفضل .. صبيت لها القهوة بينما هي تقرأ الكعك بلا توقف كالفار ..

أوصلتها إلى الملجأ وتبادلت بعض كلمات الغزل مع ( ميجان ) ثم عدت للمكتب حيث بدأ الزحام ..

كنت منهمكاً في العمل عندما افتحمت ( صوفيا ) الغرفة .. بما أن الباب لا ينغلق فقد دخلت في ذات الوقت الذي قرعته فيه .. وبالطبع لم تكن تستعمل ألفاظ ( من فضلك ) أو أي شيء آخر .. القلم خلف أُنْها وعيونها مرفوعة ، وقالت لي :

« أين قائمة المطرودين من المستودع ؟ »

ناولتها القائمة .. فتفحصتها ثم هفت :

« وجنتها رقم ٨ .. (ماركيز ليس) .. إنه يجلس بالخارج معي ! لقد انتزعه من حيث كان يمضى ليلته أمام البيت الأبيض بسبب حادث الاعتداء على عضو الكونجرس .. اليوم يوم حظك ! »

خرجت معها لأرى (ماركيز) فوجنته يشبه (مستر) كثيراً .. جريت لأخبر (موردخاي) كي يتولى الأمر بنفسه ..

قال (موردخاي) ونحن نقف أمام الرجل :

« نحن نتولى قضية أناس كانوا يقيمون في مستودع عند تقاطع شارعى (فلوريدا) و (نيويورك) .. »

« كنت أعيش هناك .. قضيت ثلاثة أشهر .. »

« وكنت تدفع الإيجار لرجل يدعى (جونى) ؟ »

« نعم .. »

(\*) كما هو واضح طيلة الرواية . تستعمل أسماء الروايات فى واشنطن - باعتبارها العاصمة - لكنها أسماء شوراع ..

« نحن نريد أن نمثلك فى قضية طلب تعويض لأننا نرى أن طردك كان غير قانونى .. سوف تحصل على الكثير من المال .. »

عندما التفتت مع (موردخاي) قلت له إن علينا أن نحصل على شهادة هذا الرجل قبل أن يحدث له شيء .. سوف نعد شهادة موقعة تشهد عليها (صوفيا) .. سأنته إن كان لديه جهاز كاسيت فأكد أن لديه واحدا لكنه لا يعرف أين .. معنى هذا أنه سيقتضى شهراً فى البحث .. سأنته عن كاميرا فيديو فقال : لا ..

« إذن سأحضر الكاميرا الخاصة بى .. فقط أبقه هنا وساعود خلال ٤٥ دقيقة ! »

« لن يذهب لأى مكان .. »

هرعت أركض فى الشارع واتصلت بـ (كلير) طالبنا اقتراض كاميرا الفيديو .. قالت لى إنها فى الصلاة حيث تركتها .. إنها لم تغير الأختال .. هذا أتعرنى بشيء من البهجة .. يوسعى لن أنخل وأخرج متى أردت ..

هكذا أجلسنا (ماركيز) فى مكتب داخلى ، وبدأت التصوير على حين استجوبه (موردخاي) . كان يعرف



مكان اثنين آخرين من المطرودين ، وقد قررنا أن نقيم دعوى منفصلة لكل منهم ..

عندما تصرف (ماركيز) نق جرم الهاتف .. سمعت من يسأل عن (موردخاى) .. سألته من هو قال :

- « آرثر جاكوبس من (ديك وسوينى) ! »

كلا قنبي يتوقف لكنى طلبت منه الانتظار وهرعت إلى مكتب (موردخاى) لأخبره أن ( آرثر جاكوبس ) أهم رأس فى شركتى السابقة على الهاتف ..

دارت للكلمة .. وعرفت أنهم يريدون لقاء (موردخاى) فى الشركة غذا من أجل تسوية .. لم يطلبوا لقائى وكنت أتوقع هذا .. عندما انتهت المكالمة سألتها عما إذا كان يعتقد أنهم خائفون ..

قال باسمنا :

- « طبعاً خائفون .. نحن لم نبدأ على الإطلاق وهاهم أولاء يطلبون تسوية .. إن الأمور تتحسن .. »

\*\*\*

## خمس وعشرون

فيما بعد حتى لى (موردخاى) تفاصيل اللقاء الذى لم يحضره سوى ( آرثر ) و( رافتر ) ومحامى شركة ( ريفر أوكس ) .. فى البدء لم يصدق أن ( آرثر ) فى الثمانين ، فهو لا ينسى شيئاً وكل التفاصيل فى ذهنه .. قدموا قهوة ممتازة مع الكعك ، وكلموه عن تسوية لأن الشركة تضايقت من الحملة الصحفية عليها .. أوضحوا أن ( تشانس ) كذب على الشركة وتصرف بشكل منفرد لهذا عوقب بالطرده .. ثم يستقل لكنه طرد ..

سألهم (موردخاى) عما إذا كانوا رأوا المذكرة التى لم يضعها فى الملف فبدت عليهم الدهشة .. أخرج من حقيبته صورة المذكرة التى تثبت أن الأم العيثة كانت تدفع الإيجار .. قال إن قضيته واضحة وسوف يفهما المحلفون جيداً ، خاصة أنه سيحرص على انتقاء محلفين من السود كي يتعاطفوا مع المطرودين .

عرضوا عليه دفع خمسمائة دولار لكل متوقف .. لكنه قال إن هذا لا يكاد يقارب المبلغ المطلوب .. لن

يرضيه إلا دفع مليون دولار لكل متوف ، وهذا يعنى خمسة ملايين ..

بالنسبة لى عرضت الشركة تسوية موضوع سرقة الملف ، لكن بشرط أن يتم وقفى عن العمل عامين كاملين كنوع من العقاب الواضح ..

طبعاً لم يكن هذا وارداً بالنسبة لى .. طلبوا كذلك إلا يتسرب شيء آخر إلى الصحف ، فقال لهم (موردخاى) إنهم من بدأ عمليات التسريب هذه .. لقد أبلغوا الصحف بكل شيء عن اعتقالى وسرقة الملف ، وهذا يجعلنا متساويين ..

جلست فى غرفتى بعد رحيل الجميع لأمل الجدار وأفكر .. لو أقتنى سلمت الملف لقبولت الشركة التسوية وعاد كل شيء إلى موضعه الصحيح .. أعرف كم هم يكرهوننى .. بالنسبة لهم أنا (يهودا) الذى سرق معلومات تخصهم وهو يعمل معهم ثم راح يهددهم بها ..

دخل (موردخاى) فلقى بنفسه على مقعد من المقاعد التى ابتعتها من (سوق البراغيث) بسنة دولارات ، وقال :

(\*) تعبير عالى عن سوق الأثماء المستعملة ..

- « القاضى (دى أوريو) يريد أن تلتقى كل الأطراف فى محكمته غداً من أجل مناقشة قضيتك ضد الشركة .. أنا .. أنت .. هم .. هل تعرفه ؟ »

- « لا أذكر الاسم .. »

- « هو رجل صارم .. شريف وعصبى ويحب أن يصرخ فى المحامين .. إنه يريد تسوية القضية بسرعة لأنه يريد أن يكون (رون) قضاياه خالياً .. كل قاض يحب هذا لأنه يعطيه وقتاً أكثر للعب الجولف .. إنه يريد أن تكون هناك غداً .. تجلس فى مقعد المحلفين .. وأن تجلب معك الملف .. »

- « بالتأكيد .. »

- « لا صحافة .. لا عسات .. إنه يكره هذه الأمور فى محكمته .. يوسعه أن يلقى الملف لو تضلقت منك .. على فكرة .. سيكون ذلك القولا (جالتري) الذى كان يملك المستودع هناك .. وهو شخص غير مريح .. بلطجى حقيقى وأعتقد أنه متضلق من لك أخصته فى القصة .. »

- « هل يعرف أنه سيجتاز جهاز كشف عن السلاح على باب المحكمة ؟ »

« غالباً .. »

- « وما هو الصواب لأتعلله يا (موردخاى) ؟ لقد  
فقدت الرؤية الصائبة »

- « أنت أخذت الملف من أجل عمل خير .. لم تنو  
سرقته .. عمل شريف هو لكنه ما زال سرقة .. الأمر  
ما زال فى بدنا .. يمكن أن أتصل بـ ( آرثر ) ل أقول له  
أن يسقط كل الاتهامات مقابل أن نسقط كل الاتهامات  
من جانبنا .. هذه قطعة كعك تلقى له .. وهذه القضية  
لن تحدث أى فارق معي .. الأمسرة ماتت فعلاً ..  
لا أقرب لهم ينتفعون بالتعويض .. باختصار لا لزوم  
لل قضية أصلاً .. »

- « الصحافة ستمزق لحمنا .. »

- « وهل تعتقد أن هؤلاء البؤساء الذين يأتون لنا  
بالبون لحظة بما تقول الصحافة ؟ »

قلت له :

- « وماذا أكون قد حققت من كل هذا ؟ هم ينجون  
بفعلتهم ، برغم أنهم تسببوا فى قتل أسرة .. وكل هذا  
كى أحتفظ برخصة ممارسة المهنة ؟ »

كنت أعرف أنه يلعب معى دور محامى الشيطان ويقول  
ما لا يؤمن به .. هو لا يريد من هذه القضية مالا .. كل  
ما يريد هو محكمة صاخبة تسلط عليها الأضواء ويتذكر  
الناس حقوق هؤلاء المشردين .. ليست المحاكمة  
قصاصة فى كل الأحوال .. أحياناً هى منابر وعظ ..

\*\*\*

## ستة وعشرون

كانت قاعة محكمة ( دى أوريو ) فى الطابق الثالثى من بنابه ( كارل مولترى ) .. إنها قريبة من قاعة القاضى ( كيزى ) التى تتألف فيها قضية الشركة ضدى .. عملية معقدة جداً ..

لم نتأخر عن الموعد لكنى أصممت ألا ندخل القاعة قبل الوقت حتى لا أواجه نظرات ( رافتى ) و ( آرثر ) و ( جاترى ) الذى لا أتمنى أن أتفرد معه فى مكان واحد ..

اتخذت مقعدى وسط مقاعد المحلفين ، بينما جلس ( موردهاى ) فى مقعد الادعاء .. وجلس محامو الشركة ومنهم ثلاثة من رهنان ( مستر ) - إلى جوار ( جاترى ) واثنين من محاميه .. كنت أتوقع أن هذا الأخير باعتباره قوادا يلبس الكثير من الخواتم وثيابنا مزركشة ، لكنه كان يلبس بدلة أنيقة وبدا أكثر اتقاة من المحامين .. وكان هناك اثنان من محامى شركة ( ريفر أوكس ) ..

ثلاثة من رهنان ( مستر ) هنا .. فماذا حدث لى ؟ كلهم احتفظوا بقولهم بينما جننت أنا .. لماذا لعبت دور الأخت الهشة ؟

فى الواحدة بالضبط دخل القاضى واتخذ مقعده .. قال لنا :

- « مساء الخير ... »

ثم أصلح من وضع الميكروفون وطلب من مستر ( بيرديك ) أن يعلق الباب .. مستر بيرديك هذا هو حارس أمن . ثم قال :

- « عرفت من سكرتيرتى أن كل الأطراف هنا .. »

ونظر لى كأنى مجرد سفايح نساء آخر ..

- « ليكن واضحاً أنه لن ينقل للصحافة أى حرف يقال فى هذه الجلسة .. هل هذا مفهوم ؟ »

نظر لى الجميع ، فكنت أقف لأذكرهم أتنى وإن كنت من وجه أعنف ضربة قبتهم هم من وجه اللكمة الأولى عندما نشروا صورتى فى الصحف .. هنا مرت موظفة

لتجعلنى أوقع على إقرار بعدم كشف أسرار هذه الجلسة ..  
وقعت بينما رجال (دريك وسوينى) يراجعون فقرات  
إقرارهم بحثاً عن ثغرات ما .. هكذا تتربنا جميعاً ..

دعا القاضى (موردخاى) للكلام خلال خمس دقائق ..  
نهض هذا ويداه فى جيبيه وبلا مذكرات ، وراح يتكلم ..  
منتهى الثقة والشعور بالراحة ..

بعد هذا نهض ( آرثر ) يدافع عن شركته فأقر منذ  
البدائية بأن عملية الإخلاء كانت خطأ .. لكنه اتهم  
للعاصفة .. واتهم أم الأطفال ذاتها بأنه كان بوسعها  
أن تبيت فى أى ملجأ أو تذهب لتعيش عند أمها ..  
بشكل ما هى مسئولة عما حدث لها وأطفالها .. هذه  
آخر مرة يستطيع فيها أن يوجه اتهامه لأم ميتة ،  
لأنه فى المرة القادمة سيكون هناك محفنون لونه  
بشريتهم مختلف .. وعندها لن يجسر أى محام فى  
العالم على اتهام أم زنجية ميتة بالمسئولية عن موتها  
هذا ..

نهض (موردخاى) وقال :

- « ليس بوسع هؤلاء القوم الحصول على مسكن  
بسهولة يا سيدى ، لذا نطلق عليهم مشردين . أنتم  
طرذتموهم للشوارع وهناك ماتوا .. هذه هى الحقائق ..  
سيكون من دواعى سرورى مناقشتها مع المحلفين ..  
والأهم أننا سنرفع قضايا أخرى من أجل كل من تم  
طردهم من المستودع .. »

باتطبع ارتجف ( آرثر ) لفكرة أن يتطلق (موردخاى)  
طليقاً فى قاعة المحكمة أمام محلفين لهم لون بشرته ..  
كان بارعاً ولو كان الأمر بيدى لأعطيته شيئاً على  
بياض ..

طلب منى القاضى أن أتأوله الملف ، فأخرجه  
(موردخاى) من حقيبته وتأوله للقاضى الذى راح يقلب  
صفحاته ثم سأل ( آرثر ) :

- « لقد عاد ملفكم .. فهل أنتم راغبون فى  
التسوية ؟ »

- « لو استقررنا على باقى النقاط فنحن راغبون فى  
ذلك سعادتكم .. »

- « وماذا عن مستر (بروك) ؟ »

بالطبع أرغب فى ذلك ..

سألنى القاضى :

- « هل تعتبر نفسك مسئولاً عن سرقة الملف ؟ »

لم أكن قد أعددت ما أقول لكنى وقتت وقتت :

- « مستر (جاكوبس) .. كنت أحترمك بشدة ومثلت ..

لقد أخطأت عندما أخذت الملف وقد تمنيت ألف مرة لو لم

أفعل .. كنت أبحث عن معلومات اعتقدت أنكم تخفونها ،

لكن لا عذر لى ، وإبنى لأعتر لك والشركة وعميلك .. »

وجلست دون أن أرفع عينى .. فيما بعد قال لى

(موردخاى) إن هذا الاعتراف المتواضع قد رفع درجة

حرارة القاعة بضع درجات بعدما بلغت درجة

التجمد ..

هنا طلب القاضى أن يتحدث على انفراد مع كل منا ،

وطلب أن أقبله فى غرفته أنا و(موردخاى) .. ثم قابل

( آرثر ) .. بعد هذا استدعانا لقاعة المحاكمة ، وقال :

- « آخر ما توصلنا إليه هو أن شركة (دريك وسوينى)

ستدفع ثلاثة ملايين مع وقف المستر (بروك) عن

ممارسة المهنة لمدة عام .. »

صاح (موردخاى) وهو يحمل حقيبته :

- « إن نحن نضيع وقتنا .. إنى أطلب الإن بالانصراف

سعادتك .. »

قال القاضى فى ضيق :

- « إنك معك .. »

هكذا غادر (موردخاى) القاعة وأنا معه ..

\*\*\*

## سبع وعشرون

كنت فى سيرتى أستعد للرحيل .. لكن من جديد استدعنا القاضى لقاعة المحاكمة عن طريق هاتفى الخلوى ، فضحك (موردخاى) وهرعنا إلى قاعة المحاكمة حيث كانت الجلسة مستمرة .. قال القاضى عندما رأنا :

« نحن نقترِب من تسوية .. »

خطر لى أن محامىي شركة ( ريفر أوكس ) قرروا التدخل .. ربما بالاشتراك فى المبلغ المدفوع كتعويض .. لا أعرف بالضبط ما دار بعد رحيلنا لكن مناوره (موردخاى) كانت ناجحة بالتأكيد ..

ما تم الاتفاق عليه هو خمسة ملايين دولار كتعويض مقسطة .. وبما أن الأسرة هلكت فإن المحكمة سترافق جوائب إتفاق هذا المبلغ ، أما بالنسبة لى فقد تم الاتفاق على وقفى عن العمل مدة تسعة أشهر ..

كانت السكرتيرة قد كتبت الاتفاق فى صفحة واحدة ومررته علينا ليوقع كل منا عليه ..

\*\*\*

كان مبلغ الخمسمائة ألف دولار التى نالها مكتبنا فى هذه الصفقة واعداً بحق .. نحتاج إلى أجهزة هاتف وكمبيوتر .. دعك من أن (موردخاى) سيودع باقى المبلغ فى المصرف للتكفى أرباحه لسداد روايتنا ، لكن الأمر ما زال يحتاج إلى جهد كبير .. لقد هككت الأسرة فلا بد من أن نجد ليا الأطفال .. فإن كان قد هلك علينا أن نجد ورثته ..

على أنلى فوجئت ذات صباح بـ ( آرثر ) وقد جاء إلى مكتبنا وجلس على المقعد الرخيص لياه .. قال لى إن شركته استعادت لياقتها وعادت لتحصيل المال ، لكنه ما زال عاجزاً عن النوم .. إنه يقترب من الثمانين وفكرة ذلك الخطأ الذى ارتكبه موظف عنده وتسبب فى موت أشخاص كثيرين لا يفارق تفكيره ..

« إننى لأنو من القير .. لكن ضميرى ليمس مستريحاً على الإطلاق .. »

إن ( آرثر ) من جيل قديم من المحامين .. ذلك الجيل الذى اعتبر ممارسة الأخلاق جزءاً من المحاماة .. وما فعله معى كان جزءاً من هذا المبدأ ..

افترحت عليه الحل التالي .. سوف ينتدب لنا محامياً واحداً من محامييه الأثرياء كل أسبوع ليعمل في قضايا المشردين .. وعلى هذا المحامى أن يحل قضية مشرد واحد فقط في هذا الأسبوع .. إن لديه تعامله مع محام فلن يؤثر هذا على مجرى العمل ، وأنا غير قادر على ممارسة المحاماة لمدة تسعة أشهر .. إن هذا حل عادل يزيح العبء عن كاهله ويوفر لـ (مورديخاي) من يسد نقص المحامين عنده ..

راقت له الفكرة ووعده بأن يبدأ تنفيذها ..

- « سوف تحتاج إلى كاتب محام بلرع .. وأنا أرشح (هكتور بالما) »

بدأ أنه لم يسمع الاسم قط ، فقلت :

- « إنه مساعد (تشانس) الذى نفاه إلى (شيكاغو) كى لا يكون شاهداً خطراً .. لقد نقل فى منتصف الليل وأعتقد أن حياته كلها هنا فى واشنطن .. لا بد من إعادته إلى هنا »

- « فهمت .. »

فى هذا الوقت كانت (روبي) قد نجحت فى قضاء أسبوعين من نون مخدرات ، وبدأ أنها قادرة على الامتاع نهائياً .. ارتدت ثياباً نظيفة وبدأت حياتها تتغير ..

وكانت علاقتى تتوطد بـ (ميجان) مديرة العنجا وبدأ واضحاً أننا سننزوج عما قريب ..

شد ما تغيرت حياتى فى شهرين !

منذ شهرين كنت أصعل فى شركة (ديك وسوينى) وكنت متزوجاً من امرأة أخرى ، وكانت لى طموحات أخرى تماماً .. اليوم تبدلت حياتى بالكامل ..

لا داعى للكلام عن المستقبل .. فالماضى ما زال يحدث !!

جون جريشام

\*\*\*

مع تحيات منتدى ليلاس